الدرجة الفاصلة

أحمد عبد العزيز

الدرجة الفاصلة / قصص

أحمد عبد العزيز

الطبعة الأولى , ٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة , اش المعهد الديني , المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

تدقيق لغوي :

أحمد فيصل

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٢٦٦٥١

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٦٢٩٧-١٠٠-٤

الدرجة الفاصلة

قصص

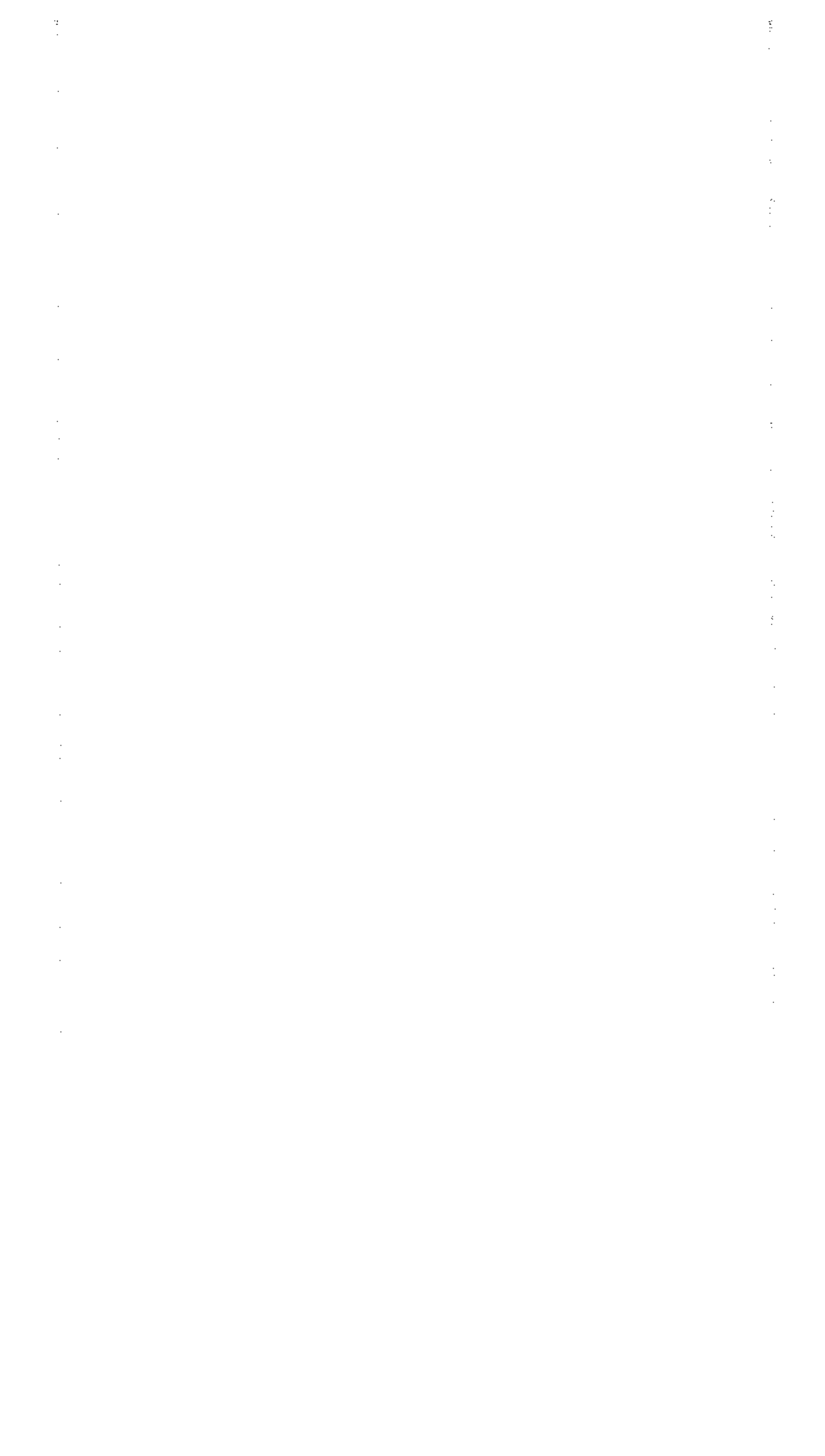
أحمد عبد العزيز

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع



موت رغبة



فريدة إحسان المتولي

الخميس- السابع عشر من شهر أكتوبر ١٩٨٨

فكّرت لأول مرة بكتابة تجربتي لأسباب عديدة أهمها أنـــني لا أستجيب بسهولة للعلاقات الاجتماعية، انطوائية إلى حد بعيــد، كما أنه ليست لدي القدرة على التواصل مع الآخرين بـــشكل فعال، ففكرت أن أعبر عن نفسي بواسطة هـــذا القلـــم وهـــذه الأوراق البيضاء فمن خلالها استطيع أن أعبر إلى العالم الحقيقـــي والذي أتمنى أن أعيش فيه......

تأخّرت فترة مراهقتي عن كل البنات في سني، وقبـــل هـــذه الفترة لم يكن لدي القدرة على التمييز بين الجنسين فكنت أتعامل مع الرجل و المرأة وكأنهما شيء واحد، ولكن بعـــدما مـــررت بالتجربة البيولوجية التي تمر بها كل أنثى في فترة المراهقة وتتكـــرر

بعد ذلك دوريًا صدمت صدمة ليست هينة لم تدم طويلًا، بعدها أحسست بالفرق بين الذكر والأنثى، أحسست لأول مرة بــأنني أنثى، وأنني لابد وأن أتعامل بما يقتضيه وضعي الجديد...

لا أتذكر الكثير عن هذه الفترة، ولكني أتذكر أنــني كنــت أتصرف تصرفات جد غريبة: كالنظر في وجوه الرجــال علــى اختلاف أعمارهم بدءًا من العام السابع عشر إلى سن الخامــسة والأربعين، كنت أتابع حركاتهم وتصرفاتهم في كل مكان أتواجد فيه .. في الشارع، في المواصلات العامة، وأنا ذاهبة إلى المدرســة أو عائدة إلى البيت وما إلى ذلك....

أيضا أتذكر جيدًا نظرات الشباب من حولي وهى تلاحقــني بشغف، في باديء الأمر كنت أشعر بالضيق،ولكن عندما أكون بمفردي في غرفتي أتذكر تلك النظرات و تلك الكلمات فكنــت أحس بسعادة بالغة، وبعد ذلك أصبح أسلوب حيــاتي في هــذه الفترة كالتالي: أتظاهر بالضيق أمام من يغازلني وأشعر بالــسعادة والنشوة عندما أتذكر ذلك...

***

الثلاثاء – الخامس والعشرون من نوفمبر ١٩٨٨

مرّت فترة الجامعة دون أحداث هامة، ولكــني أســتطيع أن أتذكّر كيف تعلّقت بأستاذي في الجامعة وكيــف انجــذبت إلى

شخصيته ومظهره الذي كان يثيرني بشدة، أتذكر كيف كنـــت أختلق المواقف لكي أقترب منه، أنظر إليه، أشتم رائحته،...كنت أحس بسعادة بالغة تغمرني عندما يتخيل عقلي اللعين أنه بجواري لا يفصلنا عن بعضنا البعض سوى ملابسنا التي نرتـــديها، كمـــا كنت أحس بنشوة عارمة عندما أتخيل أنه يلمس يدي، يـــضغط عليها، فأحس بحرارة جسده، و أتخيل نفسي كقميـــصه الـــذي يلامس جسده، ساعته التي تلامس ساعده، كل شـــيء، كـــل شيء....

عندها تكونت أول فكرة في خيالي عن الرجل الذي أســـتطيع العيش معه طيلة عمري.

***

السبت – الثاني من يناير ١٩٨٩

بعد سنة، وأربعة أشهر، تقـــدم لخطـــبتي الـــدكتور "ســـالم حمزة"،طبيب بشرى يعمل بأحد المستشفيات الحكومية التابعـــة لوزارة الصحة صباحًا – وليلًا كان يذهب إلى عيادتـــه الخاصـــة بجوار العباسية، لم أره من قبل، لكنه يقول أنه رآني وتكلم مـــع والدي لكي يتزوجني، وبعد ما أخبرني والدي عن طلبه، لم أرفض ولكني طلبت مقابلته وبعدها أقرر، تخيلته في صور عديدة كانت مزيج من الأشخاص الذين كانوا يثيروني، لذا كان لدي شـــغف

كبير لرؤيته والتطلع إليه، لم أفكر لمرة واحدة كيــف ســتكون شخصيته، طباعه، أو حتى سلوكه...

قابلته أول مره بمترلنا بحي حدائق الزيتــون، نظــرت إليــه، أعجبني- كان أفضل بكثير مما تخيلته، تكلّم معــي في أمــور لا أتذكرها ربما كنت في ذلك الوقت غير مهتمــة بهــا، تكــررت الزيارة أكثر من مرة في مترلنا وبعد كل زيارة وأنا بمفردي بالغرفة كنت أتصوره معي ونحن بمفردنا في غرفة نوم كبيرة على ســرير يسع خمس أشخاص، أتخيل ماذا سيكون الوضع، وكيف سيكون الموقف....

وافقت دون تفكير على الارتباط به واستمرت فترة خطبتنــا تقريبًا ستة أشهر، كنت سعيدة إلى حد بعيد بالرغم من وجــود بعض المواقف التي ضايقتني، و تغاضيت عنها لاعتقادي بأن تلك الأمور من الطبيعي أن تحدث بين كل أثنين في فترة الخطوبة وأنه بمجرد الزواج وامتزاج الاثنين معًا في العلاقة الشرعية يمتزج كــل طرف بالآخر وتذوب كل الحواجز وتنصهر كل الحدود. فاللقاء الزوجي يذيب كل المشاكل بين الطرفين، فعلى قدر اســتمتاعي بالفترة القصيرة التي نقضيها معًا على الفراش، أستطيع أن أتغاضى عن سلبياته لمدة سنة.

***

السبت – الثالث عشر من فبراير ١٩٨٩

ليلة زفافي... أثّرت ليلة زفافي في حياتي تأثيرًا كبيرًا، أتذكرها جيدًا كما لو كانت بالأمس، فهي أول صدمة حقيقية في حياتي، لست أعني بالصدمة الشيء الذي يحدث لكل فتاة في ليلة الزفاف أو ما بعدها بأيام – أعني فقد العذرية – ولكني أعني بكلمة صدمة أنها جاءت مخيبة لآمالي وكل توقعاتي عن تلك الليلة التي طالما انتظرتها طويلًا فكان التفكير فيها بمثابة السراب الذي يعزيني عندما تسرى البرودة بكل جزء من أجزاء جسدي وعندما تتسرب الرعشات الخفيفة في أجزاء معينة منه، وعندما يتغير لون جلدي إلى اللون المشرب بالحمرة، لون يشبه اختلاط الدم باللبن الأبيض النقي، فقبل تلك الليلة لم يكن لدي أي نوع من أنواع المخاوف التي تواجهها الفتيات المقبلات على هذه التجربة؛ بل كنت أعتقد اعتقادا لا مجال للشك فيه أنها بمثابة صباغة ثوب أبيض بألوان زاهية، أو رجوع شخص عزيز بعد غياب سنوات، وسنوات....

لم أستطع النوم على الإطلاق في اليوم السابق لليلة زفافي لأسباب كثيرة أهمها: أن فكري كان مشغولًا بتخيل ما سوف يحدث فيها حيث يقوم زوجي بهدوء بخلع ما أرتديه قطعة قطعة، بعدها يبدأ وبالهدوء ذاته تقبيلي قبلات غير عنيفة من أصغر أصبع في قدماي إلى آخر خصلة في شعري المنسدل على ظهري وكتفي، يلمس بخفة كل جزء في جسدي بيده الكبيرتين محاولًا اكتشاف كل جزء فيه....– آه كم يشعرني ذلك بالسعادة.....،

ولكن جاءت النتائج مخيبه للآمال تمامًا، فقد استغرق الموقف برمته ثلاثة عشر دقيقة تقريبًا خيم عليه مشاعر القلق والاضطراب بدرجة تفوق الحد، شعرت حين قبلني بأن شفتاه ترتعدان قليلاً وأنفاسه تلاحق بعضها البعض وكأنه عائد من سباق للعدو جائزته مليون جنيه، في باديء الأمر لم أكن متوترة، ولكن بعد لحظات قليلة من الشعور بالحالة التي كان فيها بدأ ينتابني شعور بالاضطراب لم أحدد مصدره ولا على الأقل سببه، تحدثت إليه برفق قائلة:-

- تحب ترتاح شويه؟ وعندها أحس بوخزة أصابت كرامته في الصميم ولاحقني بانفعال ملحوظ:

- لأ، ليه؟

وقبل أن ينتهي من الكلمة ذاتها بدأ في تقبيلي بعنف شديد ماسكًا يدي بقوة، ضاغطًا على خصري النحيل، محاولًا بكل ما عنده أن يمحي الفكرة التي اعتقد أنها سيطرت علي خصوصًا في هذا اليوم المميز.

وبعد انقضاء الثلاث عشرة دقيقة السابقة ساد صمت بدا طبيعيا وكأن عمر زواجنا يزيد عن العشر سنوات حيث يقل الكلام داخل غرف النوم ويزيد خارجها، أحسست أنني في مسرحية يتميز أبطالها بالافتعال في أداء أدوارهم، كل ما سبق كان مخالفًا لما جال في ذهني طيلة الفترة المنقضية قبل ليلة الزفاف، لم يغفل جفني في تلك الليلة وأحسست أن جسدي كله يرتعد من الداخل مع أنني كنت أتصبب عرقًا.

الثلاثاء – الرابع عشر من يناير ١٩٩٠

مرّت سنة على زواجنا، تخيلت فيها أنني سوف أندمج في الحياة الزوجية ومشاكلها التي سمعت أنها لا تنتهي وينشغل على إثرها كلا الزوجين، و أول شيء ينشغلون عنه هي حاجاتهم الطبيعية (الجنس بالطبع) وخصوصًا بعد الإنجاب، ويصبح الزواج حينئذ الشكل الاجتماعي المقبول لكلاهما، وآخر شيء يفكران فيه هوَ كيف يلبي أحدهما احتياجات الطرف الآخر، أنا لا أقصد اللقاء الزوجي في حد ذاته والذي فّرض عليهم من قِبل الوضع الذي جمعهما، ولكن ما أقصده هي اللمسة التي تشعر بالدفء، والقشعريرة في آن واحد، هي النظرة التي تحمل جميع الرغبات التي طالما حاولت إخفائها خوفًا ممن حولي، هي معانقة تحسسني بأني أحتضن العالم بأكمله، لم أجد كل هذه الأشياء وحاولت أن أظهر لزوجي عدم احتياجي إليها.

فكّرت ذات مرة أن أتصرف بحرية و أنا معه على الفراش، أتصرف وكأني فتاة مدربة على البغاء تدريبًا على مستوى عالٍ، ولكن دون جدوى. أصابني خوف من أن يظن بي زوجي شيئًا! كما فكرت مليًا في كيف ستكون معاملته لي بعد ذلك، وكيف سيفكر فيّ؟؟ تركت كل ذلك و حاولت التأقلم مع ما هو قائم.

الثلاثاء – الثالث و العشرون من مايو ١٩٩٠

لم أعد أحتمل، بدأت تصدر عني سلوكيات لم أعتاد عليها من قبل، مثل النظر خلسة إلى وجوه الشباب الأصغر مني، متخيلة بالتفصيل ما سوف يحدث لو تواجدنا في مكان واحد، في بادئ الأمر حاولت وبكل الطرق الممكنة أن أطرد هذه الأفكار، لكن دون جدوى بل على العكس من ذلك أصبحت تسيطر علي حتى تسربت إلى أحلامي، أصبحت أكثر عصبية وتوترًا خصوصًا في المواقف البسيطة التي لا تستدعي ذلك، أحسست بفترات اكتئاب كثيرة، وأصبحت متقلبة المزاج أحيانًا، أتعامل بلطف في عملي مع الرجال الذين أحس نحوهم برغبة، وأتعامل بغلظة مع من لا يجذبني، آه... كم هذا مُحرّم، أحسست أكثر من مرة بأنني أرغب في أن أكون بمفردي في مكان لا يراني فيه أحد، أصرخ...و أصرخ، وأصرخ مجددًا حتى أسقط مغشيًا علي..

***

الثلاثاء – اليوم الأخير في شهر ديسمبر ١٩٩٠

ليلة رأس السنة

طلب مني زوجي أن أقوم بتجهيز نفسي لقضاء ليلة رأس السنة في أحد الفنادق الراقية بالقرب من كوبري قصر النيل، لم

أعارضه قط حيث أننا لم نقضي تلك الليلة خارج منزلنا منذ يوم زواجنا.

لا أدري ما الذي كان يجول بداخلي، ولكن قوة ما دفعتني لأرتدي أفضل فستان لدي – من وجهة نظري – آه.... ذلك الفستان الأسود الطويل الذي يكاد أن يلامس الأرض – فستان مصنوع من الحرير اللامع، ضيق من عند الخصر، ومكشوف من أعلى ذو حمالتين رفيعتين تكشفان عن ذراعي بأكملهما ونصف صدري العلوي.

لم أفكر في أي شيء سوى أن أظهر بمظهر يثير إعجاب من حولي، لم أفكر في الحفلة أو المدعوين أو حتى زوجي ولا أي شيء، كل ما أفكر فيه الآن هو إثارة انتباه الحاضرين، وضعت بعض المساحيق على وجهي وتعطرت بعطر فرنسي صارخ مثير ونفاذ، وضعت فوق جسدي بالطو أسود من الفرو الغير أصلي قدمه لي زوجي في يوم عيد ميلادي وعرفت بعد ذلك أنه أهداه إلى أخته قبل ذلك ولكن لم تأخذه لأنه لا يناسب جسمها فقدمه لي في يوم ميلادي.... المهم .. وصلنا إلى الصالة الفسيحة على يمين الاستقبال والتي سوف يقام فيها الاحتفال بهذه الليلة، جلسنا على طاولة كبيرة من حيث الطول أرشدنا إليها الجرسون، كانت ممتلئة إلى حد ما ببعض الرجال والنساء لا أعرفهم قط، وبدأ

زوجي يقدمني إليهم واحدًا تلو الآخر وواحدة تلـو الأخـرى، ارتسمت فوق شفتاي ابتسامة صفراء ثابتة لكل من يوجـه إليّ تحية أو يهز رأسه كطائر يأكل الحبوب من على الأرض. جلست وجلس د. سالم زوجي بجواري وأنا أتفحص المكـان بأكملـه بنظرات خفيفة، لم تشتمل نظراتي أصدقاء زوجي وكل من يجلس على الطاولة معنا، وقع عيني على رجل بدين جدًا مكتنز الوجـه ذو بطن كبيرة وعريضة يجلس بجوار زوجته وسـاعتها بـدأت تواتيني بعض الأفكار المحرمة حول شكل اللقاء الزوجي بين تلك المرأة وبين ذلك الرجل البدين، وهل هي سعيدة بـذلك أم لا؟، وأثناء جولتي التي قمت بها بين المدعوين عن طريق نظراتي الثعلبية الرقيقة والتي نجحت عن طريقها ألا أُلفت انتباه من حولي ومـن ضمنهم زوجي بالطبع وقعت عيني على طاوِلة يجلس عليها رجل جذاب وامرأة لم أحدد حتى منظرها الخارجي، دققت النظر كثيرًا في هذا الرجل والذي بدا وكأنه في سن الخامسة والثلاثين مـن عمره، يجلس بصرامة واضعًا قدمه اليمنى على الأخرى، تابعـت الموقف بشغف... المرأة تتكلم بانفعال شديد تلوح بيدها يمينًـا ويسارًا بطريقة يملؤها الانفعال بينما يجلس هو في نفس الوضـع المذكور بدون حركة ينظر إليها بثبات لم أره قبل الليلة، وفجـأة تداركت أن الفترة التي قضيتها في متابعة هذا الموقف قد طالـت بالقدر الذي يسمح لأي شخص ساذج أن يدرك أني معجبة بهذا

الرجل، وعلى الفور حولت نظري بطريقــة غــير صــادمة إلى الحاضرين ممن يجلسون معنا على الطاولــة، أداعــب خــصلات شعري المتدلية خلف أذني، أرد بإجابات دبلوماسية قصيرة علــى جميع الأسئلة المعتادة لكن فكرى منشغل بشيء آخر.

كانت تدور في ذهني أسئلة كثيرة منها "ما الذي تقوله هــذه المرأة؟ و لم يجلس أمامها بكبرياء أمير هكذا؟ هل هــي زوجتــه؟ صديقته؟ أسئلة كثيرة تجول في ذهني، لدي رغبة حقيقية أن أحول نظري عن هؤلاء المملين السخفاء وألقى نظرة ولو لبضع ثوانٍ إلى هذا الرجل، وبالفعل حققت ما كنت أرنو إليه فوجدته في نفس الوضع السابق ولكن بدون تلك المرأة التي كانت تجلس أمامــه، ظل بمفرده على الطاولة يدخن السيجارة بشياكة ورقى وثبــات زادت من جاذبيته.

و في أحد المرات التي كنت أنظر إليه فيها وقعت عيني علــى عينه، علّقت نظري إليه لمدة أربعة ثوان تقريبًا أصابتني في تلــك اللحظات القليلة قشعريرة امتدت إلى أخمص قدمي.

شيء ما جعلني أستأذن الحاضرين للــذهاب إلى التواليــت، خلعت البالطو من على كتفــي بمــساعدة زوجــي، اشــتدت القشعريرة أكثر وأكثر حتى كادت تتجمد يداي، وبسلوك غــير مبرر اتجهت نحو الطريق المؤدي إلى التواليت مارةً بطاولــة هــذا الرجل، على الرغم من وجود طريق مباشر ومختــصر، تمــشيت

بهداوة ملحوظة، نسيت كل الحاضــرين وضــجيج الموســيقى الصاخبة وكل شيء سوى رؤيته عن قرب، أحسست لحظتها بأن كل هذه التصرفات ليست نابعة من عقلي ووجداني فكأن شــيئًا ما دخل وسكن ذاتي، امرأة لا أعرفها، آسفة.لا أود أن أعرفهـا تتصرف بحرية شديدة بدون قيود، امرأة مدرّبة على كيفية إثــارة الرجال وكأنها تتقاضى أجرًا على ذلك، أمسكت بذيل الفــستان واتجهت ببطء ودلال ملحوظ نحو الردهة المؤديــة إلى الحمــام، تلكأت وأخفضت من إيقاع خطواتي حتى وصلت إلى الباب أتمنى لو أسمع خطوات حذائه ولكن دون جدوى، أصبت بيأس شديد ولكن قبل أن يتحول إلى إحباط سمعت صــوت حذائــه علــى الأرضية نظرت إليه بنظرة خاطفة، بادلني إياها بشغف ملحوظ، دخلت على الفور وقلبي في حالة مضطربة، جسدي كله ينتفض وأنا اسمع حركات فتح وغلق الباب بالحمام المخصص للرجــال. تظاهرت أمام نفسي بغسل يدي وانتظرت لحظات حتى فتحــت الباب ببطء ليحدث ذلك الصوت المعتاد الصادر مــن مفاصــل الباب الحديدية، وقبل أن أغلق الباب ورائــي وجدتــه أمــامي بابتسامة أشعلتني من الداخل وبدون أية مقدمات تــذكر بــدأ الحديث:-

- مهندس شريف!
- فريدة.

وبسرعة فائقة أخرج من جيبه كارته الشخصي، وفى صـــرامة وثبات ملحوظ قال لي:-

- أتمنى أن أسمع صوتك في أقرب وقت ممكن.

خطفت الكارت منه بسرعة خشية أن يراني أحد، وتوجهت مسرعة إلى الحفل مرة أخرى ولكن هذه المرة مختلفـــة، كنـــت سعيدة بل كان جسدي كله يحتفل بهذا الانتصار، استمر الحفـــل للساعات الأولى من صباح اليوم الجديد، رجعت البيـــت مـــع زوجي، لم أنم للحظة بالرغم من كثـــرة التعـــب الـــذي كـــان ينتابني...

***

الأحد – السابع عشر من مارس ١٩٩١

صباح يوم الحفل

استيقظت متأخرة في هذا اليوم أتذكر كل ما حدث بالأمس، فتحت درج الكومودينو بجانبي والتقطـــت الكـــارت وبـــدأت أتحسسه، حتى رؤية اسمه على الكارت كانت تثيرني.

ظللت طوال اليوم أفكر فيه، لاشيء يشغل تفكيري سواه حتى الورقة التي تركها لي سالم على طاولة الطعام ليخبرني بأنه سوف يتأخر لم أهتم بها برهة، وصلت الساعة السابعة من ذلك اليـــوم وعقلي مشتت وأفكاري كلها يغلب عليها التـــشويش وبـــدأت أحدّث نفسي بصوت مرتفع...أتصل به ؟ لا.... يكفيني تجربـــة

أمس فقد أحسست بالسعادة !. لا..سوف أتصل به وما الضرر في ذلك!!

أوقفت مهزلة التردد برفع سماعة التليفون، رد عليّ بصوت دافئ، ارتبكت في بادئ الأمر ولكن على الفور تظاهرت بالهدوء والثبات، استمرت المكالمة أكثر من ١٠ دقائق انتهت بأنه يريد أن يقابلني بأحد المطاعم الراقية المشهورة بعد ساعة من الآن، رفضت في البداية لأني متزوجة، ومع إصراري ترك الأمر لي...

بدّلت ملابسي بسرعة صاروخ ونزلت من المترل متوجهة إلى المطعم الذي سوف يقابلني فيه، دخلت وقدماي لا تكادا تحملاني، نظرت نظرة ماسحة على جميع أركان المكان فوجدته جالسًا على الطاولة الأخيرة بجوار أحد العواميد الخرسانية، سرت إليه بثبات مصطنع وجسدي يرتعد من الداخل، قابلني بابتسامة صفراء بعض الشيء لم أعلّق عليها من فرط انشغالي بنظرات من حولي، ظللت ناظرة إليه فترة من الوقت دون إبداء أي تعبير وفجأة طلبت منه الرحيل!!

رفض بشدة:-

- ليه ؟ إحنا ما بقالناش خمس دقائق!! عايزة تمشى ليه؟

- حاسة إني تعبانة .. رددت عليه باضطراب ملحوظ.

- طيب أوصّلك.

توجهت نحو الباب بسرعة وهو خلفي بخطوات قريبة مــني، وعندما خرجت من باب المطعم أحسست إحساس من ردت إليه روحه، وانتظرته لحظات وعند خروجه وجه إلي الحديث مــشيرًا بذراعه إلى السيارة:

- اتفضلي.

دخلت السيارة بسرعة جنونية، هدأت بعض الشيء وفى كل لحظة كانت تمر على وأنا بعيدة عن هذا المكان كنت أحس بهدوء أكثر وأكثر.

مرت لحظات قليلة وأحسست بيده الدافئـــة فـــوق يـــدي المتجمدة المرتعشة، حاولت بكل إمكاناتي أن أحســـسه بثبـــاتي الزائف وأنى لست مضطربة، لعلى نجحت – تحـــدث نفـــسها- وفجأة أنفجر صوته كقنبلة مدوية:

- إنت محتاجة لشيء وأعتقد إنى محتاج لنفس الشيء، صح ؟، وأعتقد إننا لو لقيناه سوا، حاجات كتير أوي هتتغير في حياتك.

سقطت دمعة من عيني سهوا فلطالمـــا حاولـــت إجهاضـــها ولكن.....عبثًا، حاولت أن أتحكم أكثر لكي لا أنفجر في البكاء والصراخ.

واصل الحديث ثم طلب منى الذهاب معه إلى شقته، رفضت وداخلي يؤيد بشدة والذي أفصح عن نفسه من خلال الـــصوت المرتجف المتقطع الذي لا ينم على الرفض أبدًا.

– ادّي نفسك فرصة ولو لحظة واحدة أكيد مش هتنـــدمى.
يتابع الحديث في إلحاح مهذب.

مرة واحدة شوفي القيود والسلاسل اللي انت مسلسلة بيهـــا نفسك علشان تحرميها من حاجات انت بس اللي شايفاها غلط وعيب وحرام، لحظة واحدة اعملي عكس اللي انتي شايفاه يمكن يكون ده الصح.

لحظة واحدة بس اسمعي الصوت اللي جـــوّاكي، ومـــا أن أتم كلمته الأخيرة حتى وصلنا إلى باب العمارة دخلت مـــن بـــاب الشقة. جلست على أقرب أريكة بجوار الباب وكأن الإحـــساس بالأمان لا يأتي إلا وأنا بجوار باب الشقة، وجلس هو على كرسي خشبي من الكراسي الهـــزازة يبعـــد عـــن مـــسافة تـــسمح لي بالاطمئنان.

لا أدري ما الذي يرعبني كل هذا الرعب غير المبرر، خائفـــة، مضطربة، أليس هذا ما كنت أسعى إليـــه بغـــض النظـــر عـــن الشخص، لا أدري – تحدث نفسها –

وبعد مرور فترة قصيرة بدأ الحديث فظننته سيسألني ما الـــذي أريد شربه ولكن الأمر كان أكثر تعقيدا من ذلك:

– انت خايفة من الجنس؟

بسرعة رد فعل مذهلة .

- لأ ..

- ليـــه؟

فجاوبته بكل شموخ:

- لأنه ما بيمثليش مصدر خوف أو تهديد على الإطـــلاق!!
نظر إلي بنظرة ثعلب ورد قائلا:

- قلت لك لمرة واحدة في حياتك قولي اللي انت فعلا عايزة تقوليه مش اللي انت عايزة توّصليه، صدقيني يمكن الفرصة دي ما تجيش تاني.

جاوبته وعيناي معلقتين في سقف الردهة:

- أيوه خايفة وما تسألنيش خايفة منه ليه لأني معرفش ومش عايزة أعرف.

- لأ لكن هقولك إيه هو الجنس من وجهة نظرك؟

- آه...الجنس...ااه.. مش عارفة....بس..تـــــ..!

قاطع تلك الهمهمات الغبية التي اصدرتها لتوى:

- ما تتعبيش نفسك.!!

- يعنى إيه ؟

رددت عليه بحماس

- بصي كل ما الشيء يكون أقرب للمادة أقصد شيء كل الناس شايفاه و معندهاش شك في وجوده كل ما كان الاتفاق على مفهومه أسهل، أما لما يقرب الشيء للإحساس - اللي مش مادي أقصد- تلاقى كل واحد له تعريفه الخاص بيه.

انتظرت حتى فرغ من حديثه إلى نهايته وعندها قلت له وعلامات الغباء تظهر على وجهي للأعمى قبل المبصر:

- يعنى إيه؟

- أقصد ان الجنس ده إحساس ما تقدريش تعبري عنه، و الإحساس ده حواليه أسوار عالية وجامد ناس كتير أوي حوالينا تعبوا أوي لحد ما بنوا الأسوار دي، انت نفسك كنت واحدة من الناس دول، وعلشان توصلي للإحساس ده لازم ولابد تعدي على كل الأسوار دي.

استطرد في الحديث بينما أنا مذهولة من فرط إعجابي بطلاقته في الكلام، وأسلوبه الشيق.

- الجنس بالنسبة لأي واحد زي شخص عزيز أوي علينا اتسجن مدي الحياة بتهمة برئ منها، وبعد ما تحكم عليه يزوره الواحد مننا كل فتره — تقضية واجب - علشان الناس ما تاكلش وشه زى ما بيقولوا.

مرت فتره صمت لم تدم طويلا، وسألته:

- نفسي أفهم إنت مين ؟

رد عليها وهو يهز رأسه هزات خفيفة بحسرة وألم:

- أنا ممثل الدفاع عن المتهم.

ابتسمت ابتسامة عريضة ، وبدأت الحديث:

- دي أول مرة أسمع فيها الكلام ده!!

- مش مهم تسمعي المهم تحسي كل شيء حواليكي، تحسي أي شيء بتعمليه، الجنس كما هو إحساس في صورة أفعال، بصي يا "فريدة" فيه في الدنيا دي نوعين من الناس، فيه نوع بيعتبر الأفعال دي هي أصل الجنس وغايته — له ما شاء -، أما النوع التاني بيبحث عن الإحساس اللي جوه الجنس-، ودول تلاقيهم على طولّ بيعانوا.

الكارثة بقى — يتابع الحديث- لما واحد من النوع الأول يقابل واحد من النوع التاني يا إما يحصل الشيء اللي الناس بتسميه "خيانة" ودا الشائع، يا إما أي واحد منهم يكدب على التاني ويمثل دور مش دوره علشان المركب تمشي.

نظرت إليه وتحدثت اليه بحدة ملحوظة:

- وطبعًا أنا من النوع الأول واللي إحنا فيه دلوقتي هو الاحتمال الأول اللي ممكن يحصل لما واحد من النوع الأول يقابل واحد من النوع التاني... صح، ها ؟؟

نظر إليّ بهدوء غير طبيعي ورد على بكل رزانة:

– وإيه العيب في إنك تكوني من النوع الأول وعايزة تبقي من النوع التاني، أنا شايفها ميزة وميزة مش قليلة..

لست أدرى ما الذي أثار سكينتي وهدوئي في تلك اللحظة فكنت على وشك الانفجار من تلميحاته التي توحي بأني عاهرة مأجورة، ولكني رددت عليه بكل هدوء:

– هحاول أوعدك!!

نهض واقفًا و بدأ يسير في اتجاهي وهو يتابع الحديث:

– زي ما قلت لك دوري على الإحساس في أي حاجة، مش مهم إنت بتعملي إيه أو شكل الفعل ده إيه، المشوار مش سهل لكن أنا متأكد انك هتوصلى، خلي الجنس شيء يدّيكي السعادة مش يجبلك القلق والخوف، بصي له بعين تانية أوسع، دوري لما تلمسي وردة ناعمة أو تمري بإيدك على صخرة خشنة، دوري لما الميه تنزل على جسمك أو لما تحسي بحرارة نار قريبة منك....

مش عارف أنا قلت لك الكلام ده كله ليه، يمكن علشان كنت محتاجه في يوم من الأيام ولقيت اللي قالهولي، مش عارف!!

رددت عليه بسعادة شديدة:

– أنا مش عارفة أقولك ايه،..،مش عا....، شكرا

تابعني حتى أوصلني إلى باب الشقة ضغطت على يــده مــن سعادتي وأبديت رغبتي في أن أراه ثانية فرد على بابتسامة خفيفة:

- في كل مرة تحاولي فيها، وتفشلي، أكيد هنتقابل على الأقل في خيالك.

بعدها نزلت على السلم بخفة لم أشعر بها من قبـل، تغمـرني سعادة بحجم الكرة الأرضية، أحسست أنني لا أسير على الأرض بل أتحسسها بأطراف أصابع قدمي، دخلت المترل وصوته يمـلأ أذناي أتذكر كل كلمة من كلامه، أشعر بأني أول مرة أرى فيها المترل، أحسست أن كل شيء جديد......

انتهى الدكتور سالم من قراءة الجزء الأول مـن مـذكرات زوجته السيدة فريدة والتي توفيت في الثاني من نوفمبر ٢٠٠٧ في سريرها، حيث عثر على مذكراتها بعد حـادث الوفـاة بـسنة ونصف، وقبل ان يبدأ في قراءة باقي المذكرات ضحك ضـحكة سخرية وقال محدثا نفسه:

معقولة ممكن تقعد مع واحد اكتر من ٢٠ سنة و انت فـاكر إنك فاهمه.

وعلى الفور رد على نفسه:

دا لسه الجزء الأول!!!



الوقت الضائـــع



صباح مشرق جميل يطل برأسه على حي من أحياء القاهرة في يوم من أيام السنة وفي ساعة من ســاعات النــهار، وفي شــرفة تتوسط عقار قديم، وفي أحد جوانب الشرفة التي تتميز بالاتساع توجد أرض المعركة التي اعتاد الناس باختلاف أعمارهم وألسنتهم على رؤيتها في أماكن كثيرة، تلك هي رقعة الشطرنج التي تدور عليها أشرس المعارك الذهنية، بواسطة تلــك القطــع الخــشبية الموجودة على الرقعة.

يبدو أن المعركة قد بدأت منذ فترة لا نستطيع تحديدها ولكن كما يبدو من المنظر العام أنها ليست في بدايتها، قطع مختلفة مــن الخصمين موزعة بطريقة عشوائية. مضت فترة صمت طويلة قبل أن يقوم قائد الفريق الأسود بتحريك إحدي القطع التي يملكهــا، تخللها تفكير عميق، محدثًا نفسه:- "... الحصان قطعة مميزة جدا، فهي تلك القطعة التي لها القدرة على تخطي غيرها مــن القطــع الأخرى، خطواته منتظمة لا يمكن الاعتماد عليه بمفــرده للفــوز

بالمعركة، كما أنها من القطع التي لها بديل واحـــد، فـــإذا فقـــد أحدهما يوجد البديل، لذلك فعنصر التضحية مع هـــذه القطعـــة متوفر ". وإثناء فترة التفكير السابقة سأل نفسه بصوت خفيف:- **"كم مرة تصرّفت وكأني حصان تجاه المواقف التي تعرضت لها طيلة حياتي ؟".**

تذكّر عندما كان في الثالثة والعشرين من عمره، بعد انقـــضاء حياته الجامعية التي تعرض بعدها لأول صدمة حقيقية في حياتـــه، صرح لأول مرة بمشاعره للإنسانة التي أحبها حبًا شديدا وتمنى أن تكون رفيقة حياته المقبلة، ولكن فوجئ برد حاد يفـــوق حـــد السكين بأنه ليس الشخص الذي تتمنى العيش معه حياة زوجيـــة سعيدة، ومنذ تلك اللحظة انتابته حالة يأس شديدة جعلته يفكـــر بأنه فاشل في حياته لا يستطيع العيش بدونها، ولكن بعـــد فتـــرة قصيرة، تغلب على كل هذا عندما نظر إلى هـــذه المحنـــة نظـــرة مراقب المباراة وليس اللاعب، بعدها رسم لحياته طرق أخـــرى بديلة، مشى فيها بخطى منظمة تجاه الأهداف التي وضعها أمامه.

وقعت عيناه على البيدق الأسود في أعلى الرقعة ناحية الخصم، لا يفصله عن أخر صف سوى خطوتين، هذا البيدق الذي حافظ عليه من أي هجوم طوال المعركة حتى وصل إلى هـــذا المكـــان، ففكر قليلا في هذا البيدق ودوره في هذه المعركة:- "فهي قطعـــة

تقتصر حركتها على حركة واحدة فقط، ولكن تتميز عن بـاقي القطع بالترقي إلى قطعة أخرى أكثر خطورة وأهميـة، بـشرط الوصول إلى أخر نقطة في خط دفاع الخصم."، وحينئـذ سـأل نفسه نفس السؤال:- **"كم مرة تصرفت وكـأني بيـدقٌ تجـاه المواقف التي تعرضت إليها؟"**

طالت فترة صمت تذكر فيها كيف كانت حياته سلسلة من الخطوات نحو الأهداف التي وضعها لنفسه، كما تـذكر كيـف كان في بدء حياته موظفا صغيرا على درجة وظيفية لا تتمتع بأية مميزات سوى تلك النقود التي كان يحصل عليها في نهايـة كـل شهر، بدأ يتدرج في كادره الوظيفي حتى وصل إلى منصب وكيل أول الوزارة قبيل انتهاء خدمته. ثم حدث نفسه بصرامة:- **"نعم، كنت "عسكري" في عملي ومفتاح انجازي كان الصبر علـى وضعي الحالي، وطموحي الذي كان يدفعني بقـوة لأصـل إلى الوضع الذي كنت أأمل الوصول إليه "**. وبعد لحظات امـسك بيده هذا البيدق الصبور وحركه إلى أخر نقطة في الرقعـة تجـاه الخصم، وحينذاك بدله بوزير أسود، أحس حينها بسعادة بالغة لم تدم طويلًا،حيث تعرض بعدها لهجوم مضاد هدد أخطـر قطعـة لديه... (الملك)، فما عساه أن يفعل... لابد وان يقوم بتحريـك الملك في أي مكان خال حتى يحافظ على بقاء المعركة دون هزيمة، وقبل أن يقوم بتحريكه فكر مليًا:- "... ماذا تمثل هذه القطعة في حياتي، تلك القطعة مقيدة الحركة والتي لا تمثل أي خطورة على

ساحة المعركة، ومع ذلك أحافظ عليها بشدة وأحرص على عدم تهديدها من قبل الخصم خوفا من أن تنتهي المعركة، آه... نعم،حب الحياة هو الملك الذي أقوم بتحريكه في لعبة حياتي الطويلة، أحب الحياة حبا شديدا وأخاف عليها كما لو كنت احمل جسما هشا قابل للكسر في طريق وعر،... لا أدري لماذا هذا الحرص اللاشعوري بالرغم من أني إنسان بسيط، حياتي لا تساوي الكثير بالنسبة لمن حولي، ومع ذلك أتعامل معها وكأنها ملك على رقعة شطرنج".

وعلى الفور حركت الملك في أول مربع خال قريب منه لأحافظ على بقائه في المعركة، تنفست بعدها الصعداء واستلقيت ووضعت يدي على جبهتي من أثر التفكير، بعدها قوبلت بهجوم آخر من الخصم على الملك، شعرت باضطراب وقلق شديدين، فحركت الملك إلى مربع أخر خال، فقام الخصم على الفور بتحريك قطعة أخرى بعيدة تماما عن تهديد ملكي، حدثت نفسي بصوت منخفض:- "**لماذا أضع نفسي دائما في مواقف الدفاع ولدي القدرة على الهجوم ؟ املك ما يؤهلني للفوز ولكني اكتفي بالدفاع دائمًا**". فكّرت في الوزير الذي بدا كالصنم في آخر الرقعة، ولكني تمهلت لحظة لأتفحص الوضع الحالي على الرقعة وما امتلكه من جيش، فوجدت وزير وحصان وبعض البيادق في أوضاع عشوائية على الرقعة، حدثت نفسي على الفور:- "كافحت لأسترد الوزير لكي استطيع الفوز، ولكن للأسف في الوقت الذي لا استطيع الاستفادة منه"، بعدها قمت

بتحريك الوزير حركة عشوائية بتخاذل وعدم تفكير واستسلام، أعقبها هجوم أخر من الخصم على ملكي بقطعة ثالثة، ولكـــن لم أجد أي مربع خال حوله، فقد حوصر من جميع الجوانب، مرت لحظات يأس تغلب عليها طابع الاستعطاف وكأن لسان حـــالي يقول للخصم:- **"فقط أعطني فرصة أخرى كي استمر بالمعركة لأطول فترة ممكنة"**، ولكن دون جدوى، فتهاوى الملـــك علـــى الرقعة.

فجأة فتح باب الشرفة، ظهر منها شاب أسمر قليلًا، متوســـط الطول يقول بصوت هادئ:-

- جدي، الساعة بقت اتنين, ونص إنت مش هتتغدي ؟

فالتفت إليه بعينين لامعتين، وقال:-

- أيوه جاي وراك.

أعطى الشاب ظهره إليه ومضى وهو يردد بصوت مـــنخفض جدا:-

- مش عارف لحد إمتى هيفضل يلعب اللعبة الـــسخيفة دي لوحده.

كلنا هذا الرجل...

خرج الأستاذ "يحيى سالم" من منزله الكائن بالشارع الصغير الضيق المتفرع من شارع "الوحدة" بإمبابة في طريقه إلى عمله بشارع "شمبليون" بوسط المدينة كعادته كل صباح، لا شيء يثير انتباهه، كل شيء عادي ومكرر، يستقل سيارة السرفيس من الشارع الرئيسي إلى ميدان التحرير، يمشي من ميدان التحرير إلى شارع "شمبليون" مارًا بالمتحف المصري على الرصيف المقابل المزدحم بالمارة ومحال القطع الأثرية – البازارات- وصولًا إلى العمارة القديمة المصممة على التراث الانجليزي القديم حيث توجد شركة التأمين التي يعمل بها منذ خمس سنوات و أربعة أشهر تقريبًا.

******

يبلغ الأستاذ "يحيى سالم" من العمر أربعة وثلاثين عامًا، تزوج بعد رحلة معاناة تضمنت توفير المال اللازم لزواجه من شبكة ومهر وتجهيز الشقة التي قام بتأجيرها من صاحبها لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد، أما من الناحية الشخصية فلا يوجد في

حياته أي شيء مميز، حياته شبه هادئة قبل وبعد زواجه، قـضى فترة الدراسة الجامعية دون مشاركة فعلية في أي نشاط طلابي، لم يعش أي قصة حب في تلك الفترة كغيره من معظم شباب الجامعة الذين يتخذون من الجامعة هدفًا لإشباع رغباتهم العاطفية التي طالما كُبتت في المرحلة الثانوية وقبلها من المراحل الدراسية وخاصة بالمدارس الحكومية، أما حياته الاجتماعية فمقتصرة على مجموعة من رفقاء العمل بالشركة، وبعض الأصدقاء تربى معهم منذ أن كان صغيرا بحي "شبرا"، يقابلهم على فترات متقطعة عند مشاهدة مباريات كرة القدم على المقاهي، أوفي المناسبات السنوية كأحد أيام شهر رمضان أو يوم من أيام العيد أو ما شبه...

****

وصل الأستاذ يحيى غرفة المكتب في صباح ذلك اليوم والتي تتميز بوجود أربعة مكاتب موضوعة على شكل حرف L. طلب الأستاذ يحيى الشاي من عم بدوي الساعي كعادته كل صباح وعلى التو دخل الأستاذ "نادر" زميله بالمكتب غرفة المكتب ملقيا التحية عليه ثم جلس بعدها على المكتب المجاور. بدأ الأستاذ يحيى العمل في بعض الأوراق الموضوعة على سطح المكتب في لحظة دخول "عم بدوي" الساعي بالشاي والأستاذ "أحمد" زميلهم الثالث، ألقى التحية على كليهما، وعلى الفور رد عليه "يحيى" مبتسمًا ابتسامة خفيفة بينما لم يرد عليه "نادر" ولم يلتفت اليه قط حيث تظاهر بالانشغال بمكعب الألوان.

أثار رد فعل "نادر" غضب "أحمد" الذي تابعه بنظرات ثاقبة ضاغطًا على ضرسيه الأيمن والأيسر من أثر الغيظ، وعندئذ اندفع في الحديث موبخًا "نادر"على سلوكه الذي يخلو من الذوق والأدب، وعلى إثر ذلك اشتعلت مشاجرة كلامية عنيفة بينهما، بينما انشغل "يحيى" بإضافة بعض الأسماء والتواريخ وبعض الإمضاءات على الأوراق المذكورة دون أي انتباه يذكر لزميليه..

وبعد مضى أكثر من دقيقتين تقريبًا على الوضع السابق وجه "نادر "حديثه إلى "يحيى":-

- أهه... يحيى أهه... أحكم بينا يا عم وأنا راضى بحكمك. يرضيك يا عم الحاج امبارح أحمد يعلي صوته عليه وسط العملا.......

تابع "يحيى" حديث زميله الأستاذ نادر دون إبداء أي تعليق وبوجه قلت درجة حرارته عن الصفر بعشر درجات على الأقل.

قاطع "أحمد" كلام "نادر" بصوت مرتفع وبنبرة صوت حادة:

- لأ ما حصلش.

ثم وجه الحديث إلى "يحيى":-

يا عم اللي حصل امبارح.......وبدأ يسرد المشكلة التي وقعت أمس بينهم والتي لم تثر اهتمام "يحيى" على الإطلاق.

وبعد الانتهاء من سرد القصة بأكملها بدأ "يحيى" الكلام ببرود غريب:-

- يا جماعة لو سمحتم أنا مليش دعوة بحاجة، ما تـدخلونيش وسطيكم علشان ما حدش يزعل مني...

وقبل أن ينهي هذه الجملة التي لا تتناسب وحـدة الموقـف المذكور انفجر "نادر" في وجهه:-

- إنت إيه يا أخي ما بتعرفش تاخد أي موقف في حياتـك، سلبي كده على طول زي شرابة الخرج.

نظر إليه "يحيى" رافعًا حاجبيه ملليمترات قليلة وصمت تمامًـا وكأن الرد التصق في مؤخرة حلقه، بينما تابع "نـادر" الحـديث بنفس حدة الغضب المذكورة:-

- كل حاجة معرفش، كل حاجة مليش دعوة، كل حاجـة وأنا مالي، إيه ما تعرفش تقول كلمة حق أبدًا..

ومنذ تلك اللحظة اتجهت دفة الحديث نحو "يحـيى" وبـدأت الانتقادات اللاذعة تنصب عليه كوابل المطر، بينمـا هـو بـدا مندهشًا ومذهولًا من رأي زميله فيه والذي وافقه فيه ايضًا زميله الأخر "أحمد" فبعد أن كأنا عدوين منذ لحظات أصبحا حلفـاء ضده لكونه لم يوافق على قبول تحكيمهم في هذه المشكلة.

انقطع الحديث السابق بدخول عميل غرفة المكتب متوجهًا إلى "نادر" ليسأله عن شيء بخصوص إيصال تسلمه مـن الـشركة الأسبوع الماضي.

خيم الصمت وسكن أركان غرفة المكتب، بعد انصراف كل واحد منهم إلى العمل الخاص به، انشغل الأستاذ يحيى ظاهريًا بالعمل في الأوراق الموضوعة على سطح مكتبه ولكن اجتاحته موجة غضب عارمة من جراء رأي زملاءه فيه هذا الصباح، وبعد انقضاء ساعات العمل خرج من الشركة متوجهًا إلى مترله وكلمات زملاءه تملأ عقله، يفكر في كل كلمة رابطًا إياها بمجموعة المواقف التي مرت به في حياته السابقة، ازدادت حدة غضبه أكثر و أكثر. وفى طريقه إلى البيت مستقلًا إحدي سيارات السرفيس من ميدان التحرير سمع أحد الركاب بجواره يشكو من أكوام القمامة التي انتشرت بشارع الوحدة والتي تزيد يومًا بعد يوم لدرجة أنها قلصت عرض الشارع إلى النصف تقريبًا ونتيجة لذلك أصبح من الصعب بل من المستحيل أن تسير سيارتين معًا بجوار بعضهم البعض، شاركه في الرأي بعض الركاب الآخرين وكل واحد منهم حرص على أن يضيف جملة او جملتين على كلام الآخر، انتبه "يحيى" جيدًا إلى ما دار بين الركاب، ثم نظر من نافذة السيارة على منظر أكوام القمامة التي بدت كالتلال السوداء من أثر وجود الأكياس البلاستيكية وكمية غير طبيعية من الذباب تغطى هذه التلال وكأنهم وجدوا كترًا بعد سنوات حرمان طويلة.

- غريب جدًا إن المنظر ده أول مرة آخد بإلى منه.

وعندها قرر المشاركة في الحديث مع الركاب ولكن دون جدوى فكل مرة يحاول فيها إضافة أي شيء، أو موافقة شخص

ما، أو اعتراض على فكرة أو أي رأي، يقف الكـــلام في حلقـــه بصورة لأول مرة يلاحظها.

نزل من سيارة السرفيس وسار بإتجاه المترل، دخل شقته فوجد زوجته بملابس المترل المعتادة، لم يتفوه بكلمة واحدة الأمر الذي جذب انتباه زوجته، وبعد تناول الغداء حدثته زوجته دون النظر إليه وهو جالس على الأريكة المقابلة لها:-

- مالك؟؟

مفيش قرفان بس شوية من المشوار ومن الزحمة اللي بقيـــت تقرف كل يوم، قاعد اكتر من نص ساعة في الميكروبـــاص مـــن أول شارع الوحدة وكل ده علشان الزبالة المرمية على الـــصفين. بقى ده اسمه كلام حاجة تقرف. اندهشت زوجتـــه للحظـــات وردت عليه بتحفظ:-

- طب ما ده عادي بقاله أكتر من شهر، إيه الجديد يعـــني؟؟ أستغرب "يحيى" أن زوجته أيضًا مثل الركاب بسيارة الـــسرفيس لاحظت الأمر منذ بدايته مما زاد حدة الإحباط لديـــه، وعنـــدها تذكر كلام زملاءه صباحًا، فأراد أن يضيف على كلام زوجتـــه جملة أخرى ليتظاهر بأن هذه المشكلة أثرت فيه بدرجة كبيرة:-

- لأ، بس المسافة من أول الشارع لهنا بتاخد نـــص دقيقـــة دلوقتي بتاخد اكتر من نص ساعة ومفيش حد بيتكلم ولا حـــد بيسأل، الكل عامل أطرش وأخرس وأعمى. قال الجملة الـــسابقة وكأنه شخص يتكلم على لسان شخص آخر.

ازدادت دهشة زوجته من الأسلوب الانفعالي المصطنع الــذي أبداه زوجها، فنادرًا ما تشغل باله مثل هذه الموضوعات. أستطرد "يحيى" أكثر وأكثر:-

- إحنا لازم نعمل حاجة، نشتكي رئيس الحي اللي ســايب الشارع كده بقاله أكتر من شهر، وان استعدي الأمــر نبعــت للمحافظ..للوزير... لأي حد يشوفلنا حل في القرف اللي أحنـــا فيه ده. ردت عليه زوجته:-

- هيه جت على دي، ما فيه حاجات كتير ألعن من كـــده. زادت حدة الغضب لدي "يحيى" حتى كاد الدم ينفجر من عروقه المدفونة تحت جلده:-

- يعني إيه نسكت على أبسط حق لينا وهو اننـــا نمـــشي في الشارع....

لم تنتظر زوجته حتى يكمل جملته وقاطعته الحـــديث:- أنـــا داخله أنام طول النهار مهدودة في الشقة. رد عليها:-

- مهدودة في شقة ٦٤ متر بالبلكونة والمنور!!!. أحس "يحيى" أن زوجته لا تثق فيما قد يفعله، فانفعل بشدة وبعد أقل من دقيقة أحضر مجموعة من ورق الفلوسكاب المسطر وقلم جـــاف أزرق وجلس على طاولة السفرة وبدأ بشكل لا إرادي كتابة خطـــاب رسمي موجه إلى محافظ القاهرة.

السيـــــــد الأستاذ الدكتور/ **محافظ القاهرة**

توقف الأستاذ يحيى عن الكتابة من أثـــر ارتفـــاع معـــدل ضربات قلبه عن المعتاد والتي فاقت في سرعتها ضـــربات بـــائع الأنابيب الذي كان يدوى في الشارع الذي يسكن فيه فضلًا عن تصبب عرقه الذي استأثر منطقة راحة اليد وتحت ابطـــه. أخـــذ يقلب القلم بين أصبعيه تارة ثم يقضم غطاءه تارة أخرى، ثم بعد ذلك بدأ كتابة السطر الأول وبعده السطر الثاني، وبعد كل سطر ينتظر لحظات مترددا في اختيار الكلمات المناسبة لشرح شكواه، وبعد ساعة وربع انتهى أخيرا من كتابة هذا الخطاب وأنهاه بجملة "فأرجو من سيادتكم اتخاذ الإجراءات اللازمـــة للأهميـــة "، وفى أسفل الخطاب عند الجهة اليسرى "مقدمه لسيادتكم / يحيى محمد عيد"، ثم كتب العنوان أسفلها جهة اليسار.

تردد "يحيى" كثيرًا في كتابة أسمه وعنوانه أو أية بيانات تـــدل على شخصيته، ولكن حدة غضبه التي سيطرت عليه منذ بدايـــة اليوم جعلته يتخلى عن هذه الفكرة فهو إنسان حر لا يخشى شيئًا سوى من خلقه –أو كما يظن نفسه-. وفى اليوم التإلى أســـقط الأستاذ يحيى الخطاب في إحدي صناديق البوستة بعد وضع الطابع عليه وذهب إلى عمله كعادته.

*****

تلقى الأستاذ "محمود إلهامي" الموظف بإحدي فروع الهيئة القومية للبريد جميع الخطابات المجمعة من صناديق البريد في المنطقة التي يقطن بها "يحيى"، وبدأ يفرز الخطابات التي انتقلت من صناديق البوستة إلى هذا المركز في شوال أبيض كبير مطبوع عليه شعار الهيئة، يفرز الخطابات بناءًا على عناوين المرسل إليهم لكي يتم إرسالها بعد ذلك إلى اقرب نقطة توزيع، وبعد فترة ليست قصيرة وقع في يده خطاب "يحيى"، أنتظر لحظات وهو يقلب الخطاب بين يديه واستوقفه أن الخطاب موجه إلى محافظة القاهرة وتحديدًا إلى محافظ القاهرة، أما المرسل فهو أحد الأشخاص القاطنين بحى إمبابة، تملكه الفضول لمعرفة ما بداخل الخطاب، وبالفعل وبدون تردد فتح الخطاب بطريقة حرفية لم تترك أي أثر لقطع أو مزق في الظرف، وبعد قراءة ما بالخطاب أندهش قليلًا، فنادرًا ما يقوم مواطن في وقتنا الحاضر بهذا الفعل الجريء ويكتب شكواه بكل هذه العبارات القاسية، فكر في أن يرسل خطاب مماثل للسيد محافظ القاهرة يكتب فيه ما يحدث بموقف سيارات السرفيس "بدار السلام" وذلك بسبب سيطرة السائقين على الموقف، وكثرة المشاجرات بينهم، وتدخين البانجو وهم أثناء القيادة، فضلًا عن قيامهم بتقسيم المسافة المقررة إلى جزءين لمضاعفة الاجرة.........الخ، ولكن فكر قليلًا في بعض النتائج التي يمكن أن تترتب على شكواه فأصبح في حيرة من أمره ولكنه

سرعان ما أتخذ القرار بوضع الخطاب في الظرف ووضعه في جيبه وتابع عمله وكأنه لم يفعل شيئًا.......

*****

توجه "محمود" إلى المقهى بعد استيقاظه من فتـــره القيلولـــة ليدخن الشيشة ويلعب الطاولة مع زملاءه في المنطقة التي يـــسكن بها التابعة لمنطقة دار السلام، وبعد الانتهاء من الحديث الذي ثار بينهم حول إحدي مباريات الدوري المصري الجـــريح جـــذب انتباههم إلى مشكلة موقف سيارات السرفيس وما يحدث فيـــه، شاركه زملائه الرأي كل واحد يحاول إضـــافة ســـلبية جديـــدة ومختلفة عن التي قالها زميله، قاطعهم "محمود" بشيء من الحـــزم المصطنع قائلًا:-

- هنعمل إيه ؟؟ إحنا لازم نبعت شكوى رسمية لرئيس الحـــي آو حتى المحافظ يشوفولنا حل للمشكلة دي يا جماعة. وقبـــل أن ينتهي "محمود "من كلامه قاطعه أحد الجالسين:-

يا عم خليها على الله. ورد آخر:-

- يا ريس هو حد بيسمع ولا حـــد بيعمـــل حاجـــة. ورد ثالث:-.....ورابع:-.........

انقضت ساعة بعد ذلك في بعض الحوارات التافهة وبعـــدها طلب "محمود" الحساب متوجهًا إلى المترل، وفور وصوله أخـــرج

الخطاب من جيب البنطلون وبعض الأوراق الفلوسكاب وبدأ يكتب بنفس لون القلم الذي كتب به "يحيى" الخطاب أضاف حوالي صفحة إلا أربعة اسطر تضمنت الوضع في موقف سيارات السرفيس، وضع الصفحة المذكورة دون ذكر أسمه مع خطاب "يحيى" وأغلقه.

*****

تابع "محمود" عمله في اليوم التالي بشكل روتيني بعد وضع الخطاب ضمن الخطابات التي سوف تتوجه إلى اقرب فرع بريدي لعنوان المرسل إليه، وهو في قمة سعادته - ياله من يوم مميز في حياته-

*****

توجهت الرسالة بعد هذا المركز تقريبًا إلى أربعة مراكز بريدية بمناطق مختلفة قبل أن تصل إلى مكتب محافظ القاهرة، وعند وصولها جذبت انتباه موظف السكرتارية من انتفاخها وثقلها غير المعتاد في أغلب الخطابات. وعند فتحها فوجيء موظف السكرتارية بوجود ستة ورقات من الفلوسكاب تحمل شكاوى مختلفة، تابع القراءة حتى وصل إلى الصفحة السادسة وعندما وصل إلى ربعها تقريبًا اتسعت عيناه بطريقة غريبة رافعًا حاجبيه قاضمًا على شفته السفلى من أثر ما قرأه، ففكر على الفور أن يرسل الخطاب إلى المحافظ دون الورقة السادسة، وبعد لحظة تردد لم تدم طويلًا أدخلهم كلهم إلى المحافظ.

دق جرس الباب الساعة الثالثة إلا ربع فجرًا موقظًا "يحيى" من نومه وهو في حالة فزع، نهض مسرعًا نحو الباب وهــو متــرنح يفرك في عينيه، فتح الباب فوجد أمامه رجلين احـــدهما يــضع بخصره جهاز لاسلكي أسود، وعلى الفور سأله أحد الرجلين:-

- حضرتك الأستاذ يحيى محمد عيد؟

رد عليهم وهو مغمض العينين تقريبًا:-

- أيوه، وعلى الفور رد عليه الرجل الثاني:-

- عايزين حضرتك شوية،

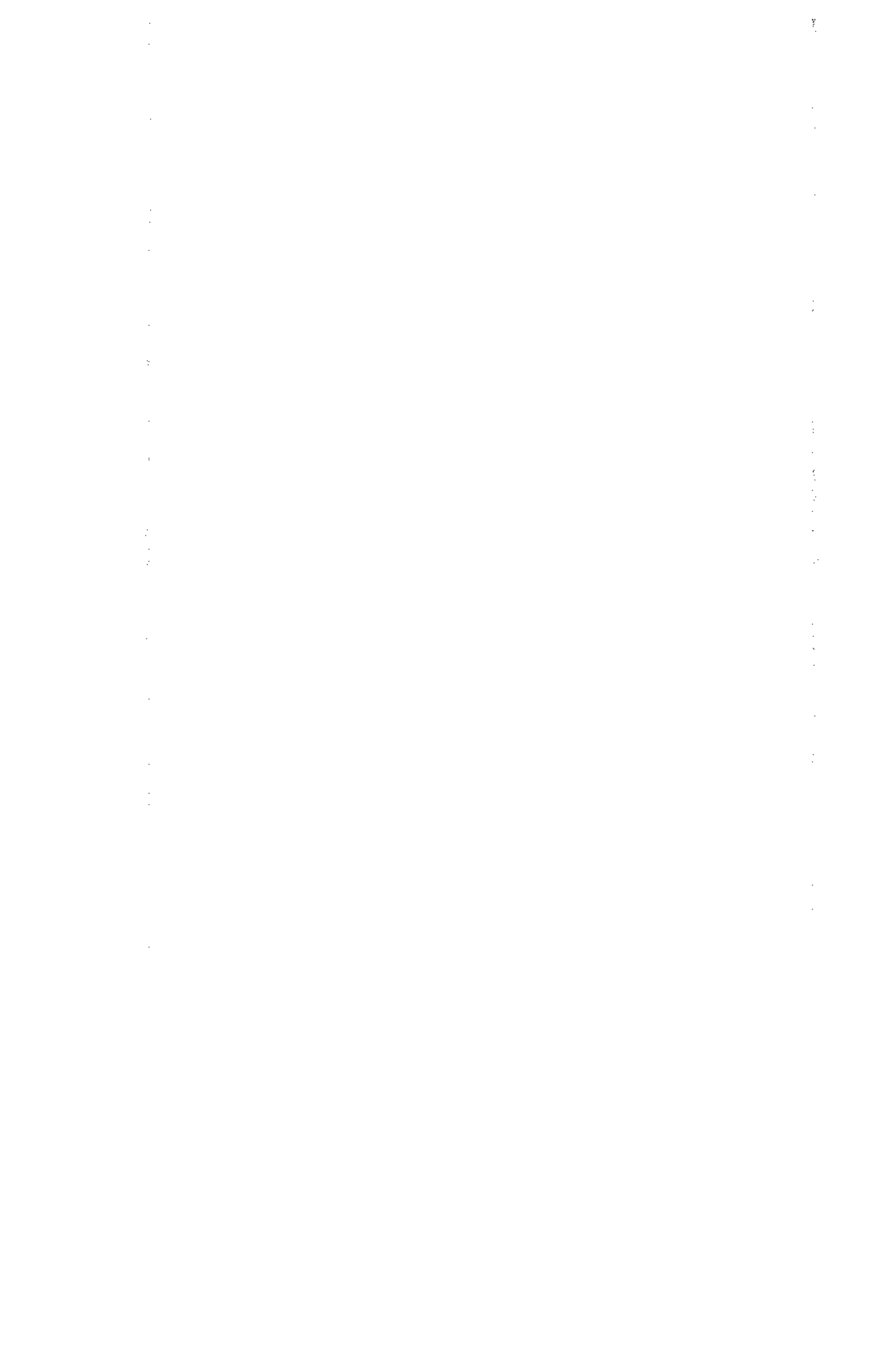
رد "يحيى" على الفور:-

- في إيه؟

رد الرجل الاول:-

هناك هتعرف!!!

المرســـم



دقت الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل من صـــباح يوم الخميس، ولازال (كمال حمدي) يمسك فرشاة الرسم بطريقة توحي لأي أحد يراه بأنه فنان محترف .. استغرق (كمال) وقتًـا طويلًا في وضع اللمسات الأخيرة على اللوحة التي يرسمها أو على حد تعبير الفنانين "الرتوش الأخيرة" حيـــث أنـــه لم يلتفـــت إلى صوت دقات الساعة الخشبية القديمة المرتكنة على أحد جـــدران المرسم...وبعد مرور نصف ساعة تقريبًا أخفض يده اليسرى من على اللوحة واضعًا الفرشاة بهدوء في المكان المخصص لها، ثم أخذ منشفة من جانبه يبدو أنها كانت بيضاء اللون فيما مضى، ثم أخذ يفرك يده فيها ليتخلص من أثار الألوان الملتصقة على أصـــابعه ثم أخذ يحرك رأسه تارة إلى اليمين وتارة أخرى إلى اليـــسار وهـــو ينظر إلى اللوحة بعمق... أشعل بعدها (كمال) سيجارة وهو لا يزال ينظر بنفس العمق على لوحته التي انتهى منها، أخرج مـــن

فمه كمية كبيرة من الدخان في اتجاه اللوحة حتى طمست رؤية بعض أجزاء اللوحة لثوان قليلة ثم قضم شفته السفلى محدثًا نفسه بصوت منخفض نسبيًا:-

- The Imperfection is the Condition of the "Perfection"

نظر (كمال) إلى الساعة الخشبية وهو يستدير بهدوء تجاه أريكة كلاسيكية بنية اللون محدثًا "كريمة" وهي تضع يدها اليسرى على أحد ذراعي الأريكة ويدها اليمنى بها سيجارة أشرفت تقريبًا على الانتهاء مرتدية قميص نوم أبيض قصير مزود ببعض القطع الشفافة من على الصدر وعلى حافته السفلى:-

- إيه رأيك؟

ردت عليه بهدوء:-

- في إيه بالظبط؟

ابتسم (كمال) ابتسامة خفيفة لم يظهر فيها أي أثر لأسنانه الصفراء بعض الشيء وقال:-

- هيكون في إيه يعني ؟ في اللوحة طبعًا!!.

أخذت كريمة النفس الأخير وكأنه النفس الأخير في عمرها وردت عليه وهي تطفئ السيجارة المسكينة على الارض:-

- ما انت عارف أنا ماليش في الفن ولا اللوحات ولا الحاجات دي، أنا ليه في حاجة واحدة بس....، ما بحبش أوجع

دماغي، عايشه كل يوم كأنه أول يوم في حياتي، لا أحب أفكـــر أنا عملت إيه الثانية اللي فاتت ولا أحب أفكر أنا هعمـــل إيـــه الثانية اللي جاية. رد عليها بهدوء:-

- ودي تبقى حياة؟؟ أجابت واثقة رافعة حاجبيها:-

- فى الزمن اللي احنا فيه هي دي الحياة، انت عارف أنا بحس إن الناس دلوقتي كأنهم محبوسين في مكان له كذا باب للـــهروب وما حدش عارف كل باب مودي على فين، ولما حصل الخطـــر كل واحد اختار باب، بس علشان يهرب، وبعد ما طلع منه اتمنى إنه يعيش طول عمره في المكان اللي كان فيه الخطر ده.

رد عليها (كمال):-

- والباب اللي طلع من نصيبك وداكى على فين؟؟

ردت عليه:-

- على الملاية البيضا، بس عارف أنا واحدة من قليلين اللـــي عمري ما اتمنيت إني أرجع للمكان اللي كان فيه الخطر ده.

- عارف!!

نهضت كريمة واقفة في وضع أظهرت فيه جـــسدها النحيـــل نسبيًا محدثة (كمال)

- أما انت عارف أمال بتسأل ليه؟؟!! انت مش هتبطل العادة اللي فيك دي ؟؟

أخذ (كمال) سترته الكحلي من على ظهر الكرسي المصنوع من البامبو واتجه نحو باب المرسم المزخرف ببعض الزخارف الإسلامية على شكل نجوم سداسية متداخلة، متحدثًا بصوت خافت:-

- أنا نازل القهوة وبعدين هروح على البيت.

خرج (كمال) وأغلق باب المرسم خلفه مسرعًا على درجات السلم البالية ثم شق طريقه برفق وخفة من بين جنبات بعض الحارات الضيقة بحي الحسين حيث يوجد المرسم، استقل سيارة أجرة متوجهًا إلى شارع سليمان باشا وبعد دقائق معدودات نزل أمام مقهى الجوهرة، جلس (كمال) على الكرسي الخشبي في صدر المقهى واضعًا علبة السجائر وكومة المفاتيح المعدنية على المنضدة المربعة ذات الطاولة الرخامية، وحينئذ زعق الجرسون بصوت مرتفع:-

- ينسون مغلي للأستاذ (كمال).

أقبل الجرسون إليه رافعًا يده إلى مستوى كتفه كتحية عسكرية:-

- مساء الفل يا أستاذ (كمال)، إيه الأخبار؟؟

رد عليه (كمال) مبتسمًا:-

- الحمد لله، ازيك يا خيري.

وفجأة مضى الجرسون مسرعًا ليلبي أحد طلبات زبائن المقهى الخالية نسبيًا.

لم يكن لـــ(كمال) أصدقاء معروفين على المقهى ولكنه كان زبونًا شبه دائم خصوصًا في السنتين الماضيتين بعد الحادث المـــؤلم الذي أصاب مصر في حرب ٦٧، ومن بعدها أصـــبحت قهـــوة الجوهرة والمرسم هما المكانين الطبيعيين له، أمـــا منزلـــه وعملـــه فأصبحا المكانين العارضين، فيجلس بمفرده قرابة ســـاعة يـــدخن السجائر ويتفحص الجالسين من حوله أو يقـــرأ كتابًـــا أو مـــا شابه..، مر من الوقت قرابة خمسة وعشرون دقيقة وبعدها أشار إلى الجرسون، ثم أعطاه بعض العملات المعدنيـــة مـــشيرًا بيـــده كعلامة "أحتفظ بالباقي":-

- ما لسه بدري يا أستاذ كمال! رد عليه بابتسامته الباهتـــه المعهودة دائمًا:-

- معلش عندي شغل بكرة.

*****

يعمل (كمال) بأحد الأعمال الإدارية بوزارة الثقافة منذ عشر سنوات تقريبًا، يعيش بمفرده في شقة صغيرة بحي كوبري القبـــة منذ أكثر من ست سنوات بعد انفصاله عن زوجته التي طلبـــت منه الطلاق. لم يكن (كمال) راضيًا بشكل كاف عن وظيفتـــه

الإدارية المملة فكان يعتبرها مجرد مصدر لرزقه لــيس إلا، فهــو يكره العمل الإداري الرتيب ككرهه للمرأة الوحيدة التي ارتــبط بها بطريقة شرعية –زوجته– وفي كل يوم عمل كان ينتظر ساعة خروجه من الوزارة بفارغ الصبر ليتوجه بعدها إلى منزلــه ليعــد غداءه بنفسه ثم ينام قرابة ساعتين وينزل بعدها مــسرعًا في تمــام الساعة الثامنة إلى مرسمه بحي الحسين الذي يعتبره أحد الأبــواب الذي لاذ إليه بالهرب على حد تعبير (كريمة). يحــافظ (كمــال) على نظام حياته بدقة متناهية ويعتبر أي خلل يطرأ علــى نظــام حياته هو بمثابة كارثة يفقد فيه اتزانه وينحرف على إثرها مزاجه.
لم يحظى (كمال) بصداقات كغيره من البشر أو بالأحرى لم تكن لديه أي صداقات تذكر، لا أحد يحس به، لا يوجد من يــسأل عليه، فكان قليل الكلام يتجنبه زملائه بالعمل بــسبب كبريــاءه الزائف الذي يفصح عن نفسه بصمته وعدم الاقتــراب منــهم بالرغم من ذكاءه وعبقريته التي تظهر على الأقل في نظرات عينيه اللامعتين دائمًا، ولكن ما حدث يوم الخميس الرابع عــشر مــن شهر ديسمبر لسنة ١٩٦٩ هو بمثابة اليوم الوحيد الذي احتل فيه النظام الكوني لــ(كمال حمدي)، لم يكن كمثل باقي الأيام الــتي مرت عليه على الأقل منذ سنتين تقريبًا فكان يومًا مميزًا في كــل شيء حتى في تاريخه الذي وافق يوم ميلاده.

نزل (كمال) في تمام الساعة الثانية عشرة ظهرًا على غير عادته حيث لم يذهب إلى عمله، متوجهًا بشكل قصدي إلى منطقة مصر الجديدة، أخذ يجوب الشوارع بحثًا عن أشياء يشتريها فاليوم يوم ميلاده، مرت أكثر من أربعة ساعات تقريبًا سيرًا على الإقدام حتى انتهى تقريبًا من شراء ما كان يريد شرائه، وبعدها توجه إلى مترله وهو يحمل كمية ليست قليلة من الورود وزهور الصبار بأشكالها المختلفة، لم يعد لنفسه الغداء كعادته كل يوم ولكن فضل أن يستقل بظهره على سريره المرتب وهو ينظر إلى سقف الحجرة في ثبات ملحوظ دون أن يرمش، ظل في الوضع السابق حتى دقت الساعة السادسة مساءاً وبعدها نهض من وضعه السابق ليضع كل ما اشتراه في حقيبتين مصنوعتين من مادة البلاستيك الثقيل ونزل متوجها إلى المرسم فكانت هي المرة الأولى التي يذهب فيها إلى المرسم في غير موعده الذي اعتاد عليه.. وصل (كمال) إلى المرسم في تمام الساعة السابعة تقريبًا وبعد دخوله من الباب الخشبي المزخرف، وضع ما بيده جانبًا بجوار الباب، وبدأ يرتب الأثاث البسيط داخله بطريقة منتظمة، وبعدها أحضر وعاء أخضر متوسط الحجم مملوء عن آخره بالماء وبداخله ممسحة البلاط التي لم يستخدمها قط، وأخذ يسكب الماء على أرضية المرسم منظفًا جميع أركانه بطريقة ملفته للنظر حيث أصر على أن تصل المياه إلى أصعب المناطق وأضيقها بأركان المرسم، وأخذ يملأ

المياه بالوعاء المذكور مرات ومرات يسكب المياه وينظف بعصبية ملحوظة كل جزء بالمكان: الحوائط، السقف، أذرع الكراسي، الأجزاء الخشبية المزخرفة على الباب، كل شيء...، كل شيء....ثم جمع أدوات الرسم الخاصة به: فرش الرسم، الأنبوبات الملطخة بألوان مختلفة....وغيرها، أخذ ينظفها بالماء الواحدة تلو الأخرى نظفها جيدًا حتى أصبحت جديدة بعد زوال الألوان من عليها، ثم تخلص من جميع أنابيب الألوان الفارغة و تلك التي أشرفت على الانتهاء،وبعد ساعتين ونصف تقريبًا انتهى (كمال) من تنظيف المكان ثم وضع كل النفايات وما احتوتها من أوراق وعلب ألوان فارغة وبعض الفرش القديمة.....في أكياس بلاستيكية ووضعها بالخارج بجوار باب المرسم ثم أغلق الباب.
بدأ (كمال) بعد ذلك في تزيين المكان بالورود وأزهار الصبار التي أشتراها ظهيرة ذلك اليوم، وذلك في أماكن متفرقة بالمكان ولكن بطريقة لا تمت للعشوائية بأي صلة بل على العكس كانت طريقة تنم عن ذوق رفيع، وبعدها تحول المكان كليًا إلى مكان في منتهى الجمال والذوق، كل شيء نظيف كل شيء مرتب،حيث يستحيل على أي أحد يدخل هذا المكان أن يدرك حتى ولو لثانية أنه ذلك المرسم الكئيب،بل منزل جميل يستقبل زوجين في ليلة زفافهم.

تلقى "رشدي منصور" ضابط المباحث بمنطقة مصر القديمة في الحادي والعشرين من شهر ديسمبر في تمام الساعة الثانية ظهـــرًا بلاغًا من أحد سكان العقار القديم الذي يوجد به المرسم بوجود رائحة كريهة تنبعث منه، أنتقل على أثره فورًا إلى العقار بصحبة أربعة رجال من المباحث، طرق "رشدي" الباب عـــدة مـــرات ولكن عبثًا لم يرد أحد، وبعدها أمر أحد الرجال الأربعة بكـــسر الباب، وعندئذ وعلى الفور أخرج "رشدي" منديله مـــن جيبـــه ووضعه على أنفه المدببة من أثر الرائحة التي انبعثت من المكـــان، دخلوا جميعًا بحذر إلى المرسم فوجدوا (كمال) متدليًا من حبـــل مجدول سمكه ٢ بوصة تقريبًا مربوط بأحد طرفيه في عرق خشبي سميك بسقف المرسم.

تابع "رشدي" إجراءاته الأمنية المعتادة من رفع البصمات ونقل الجثة...وغيرها، وبعد ذلك بدأ التحقيق مع سكان العقار الـــذين أجمعوا تقريبًا على أنه لا توجد أي علاقة بينهم وبـــين (كمـــال) وأستدل على ذلك من بعض العبارات المتشابهة التي أفصح عنـــها الجيران من قبيل:-

- "كان في حاله".

- "بصراحة يا سعادة البيه أنا باجى من الشغل بنام ومـــاليش خلطة بحد في البيت خالص".

- "ما كنتش بشوفه كتير، ولما بشوفه كنت بشوفه يا إما طالع، يا إما نازل، حتى ماكنش بسلم سلام ربنا".

- "عمرى ما شفت حد جاله، لا حريم ولا رجاله ولا عيال....دا حتى ما كنش بيقول سلامو عليكم....."

- .... أنا.........................!!!

وبعد مرور يومين على هذه الحادثة البشعة التي هزت المنطقة بأكملها والمناطق المجاورة، توجه "رشدي" بعدها إلى المرسم ولكن هذه المرة بمفرده، لا يدرى ما الذي دفعه إلى الذهاب إلى هناك في زيارة أخيرة بعد ما أسفرت نتائج التحقيق عن لا شيء، نظر "رشدي" إلى المرسم نظرة متفحصة فوجد بعض اللوحات الموضوعة على الحوامل الخشبية والمغطاة بالملاءات البيضاء التي ظهرت عليها بعض أثار التراب الخفيف، تملك "رشدي" الفضول لإزاحة الملاءات البيضاء والكشف عن إبداعات هذا الشخص المجهول، توجه إلى أقرب لوحة إليه من موضعه ماسكًا بطرف الملاءة من أسفل وسحبها في نفس الاتجاه، وعندئذٍ رفع حاجبيه بطريقة أظهرت دهشته مما رآه:-

فهي لوحة لامرأة شبه عارية يغطى شعر رأسها نصف وجهها تقريبًا، يظهر على جسدها وخصوصًا منطقة الذراعين بعض الكدمات التي ظهرت بلون أزرق مختلط باللون الوردي الفاتح،

ملقاة على سرير مشغول من الحديد بدون ملاءة ولكن مغطى بكمية كبيرة من الأشواك المتناثرة عليه، أما تعبيرات وجهها فلم تدل على أي أثر للتألم من جراء هذا الوضع الغريب.

انبهر "رشدي" من دقة التفاصيل في اللوحة وتناسق ألوانها وأبعادها التي أضفت عليها التجسيد لدرجة أن "رشدي" لم يمنع نفسه من إحساسه بالقشعريرة التي تملكته عندما رأي اللوحة. وفى الطرف الأسفل جهة اليسار من اللوحة المذكورة لاحظ "رشدي" ورقة بيضاء مكتوبة بخط النسخ الرقيق في سطرين منفصلين:-

- "كريمة".

- تاريخ الميلاد "٥ يونيه ١٩٦٧".

سار "رشدي" مسافة خطوة ونصف تقريبًا،تلك المسافة الكائنة بين اللوحة السابقة وبين اللوحة الثانية المغطاة هي الأخرى بملاءة بيضاء، وبعد سحب الملاءة بنفس الطريقة تقريبًا،اندهش أكثر وأكثر: فهي لوحة في غاية الإبداع ظهر فيها طفل صغير من ظهره استبدل ذراعيه بجناحين كبيرين، تقريبًا ضعف طوله، شبت فيهما النيران، وقدماه تلامسان الأرض بالكاد. وفى نفس الوضع وجد الورقة البيضاء على اللوحة:-

- "كريم".

- تاريخ الميلاد "٥ يونيه ١٩٦٧".

تابع "رشدي" الكشف عن اللوحة الثالثة التي ظهر فيها شاب يافع يلطخ الشحم بعض أجزاء وجهه وهو يحاول قطع يده اليمنى على آله ضخمة تشبه المخرطة:

- "كامل".

- تاريخ الميلاد "٥ يونيه ١٩٦٧".

أما اللوحة الأخيرة فكانت لرجل في منتصف العمر يمد يديه الاثنتين إلى الإمام وهو مغمض العينين ورجله اليسرى ترجع إلى الوراء وكأنه يسير عكس الاتجاه وهو نائم:-

- "كمال".

- تاريخ الميلاد "٥ يونيه ١٩٦٧".

ظل "رشدي" دقيقتين يتفحص اللوحات الأربعة بدهشة غريبة لم يشهدها طيلة حياته، ثم جمع الأوراق الأربعة ووضعها بجوار بعضها البعض وأدرك على الفور بحسه البوليسي أوجه الشبه بينهم، وعندئذ ذرفت عيناه دمعة وهو يرجع بخطى متثاقلة نحو باب المرسم محدِّثًا نفسه:-

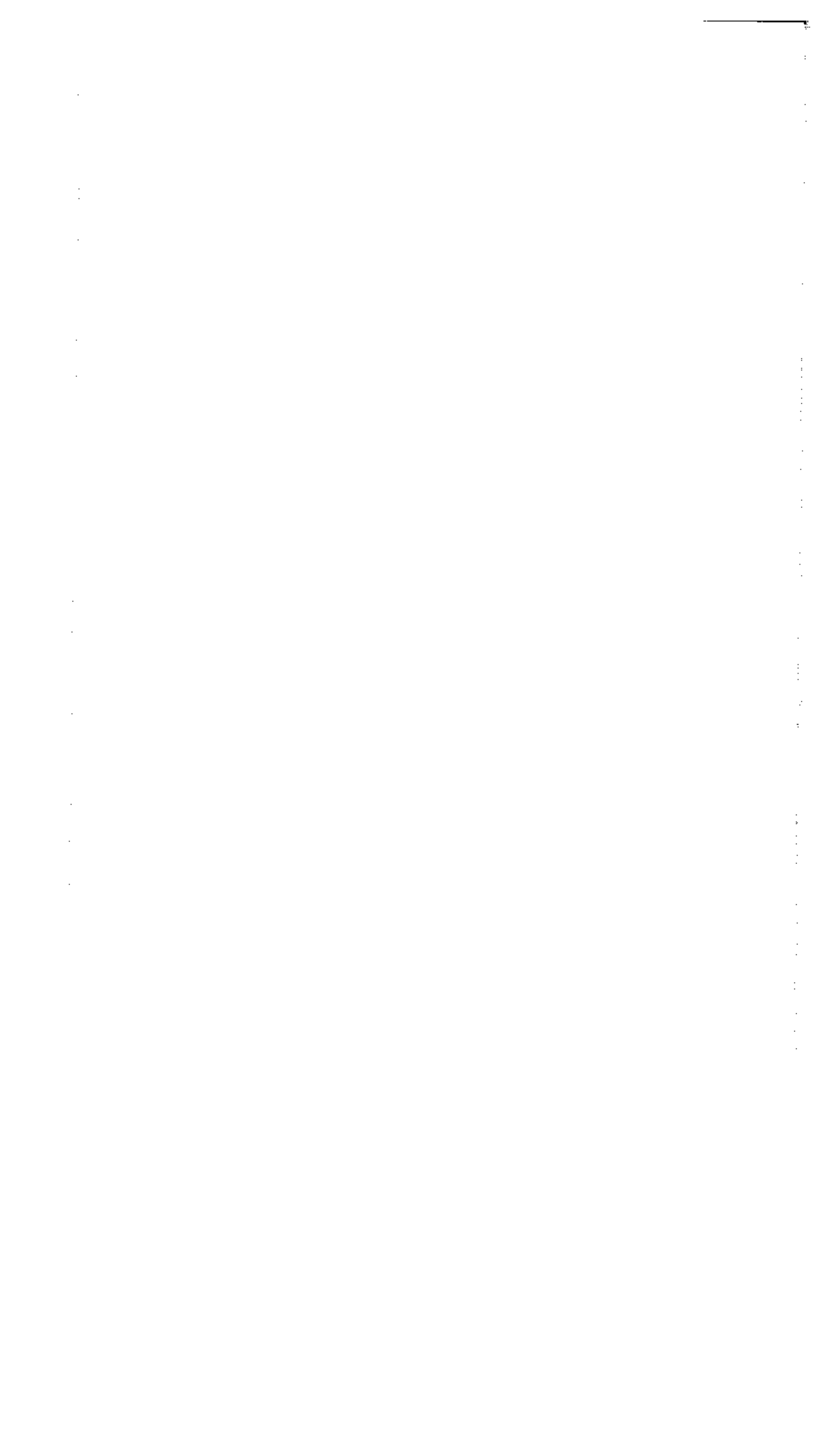
- نسى هذا العبقري أن يرسم رجل البوليس وهو مكبل بأغلال حديدية داخل زنزانة مظلمة:-

- كـ..........

- تاريخ الميلاد "٥ يونيه ١٩٦٧".

فتح "رشدي" الباب وخرج بخطى متثاقلة مغلقًا باب المرسم وراءه بهدوء.

النفــق



دقت الساعة السابعة من صباح يوم الأحد أول أيـــام عمـــل بالأسبوع، فتح "شوقي" باب الشقة ليخرج إلى عمله كعادته كل يوم وقبل أن يخطو بقدمه خارج الباب التفت إلى زوجته الجالسة على كرسي خشبي بجوار التلفاز القديم وهي تمشط شعر ابنتها:-

- عايزة حاجة وأنا جاي م الشغل؟

أجابت الزوجة دون الالتفات إليه وكأنها مشغولة بعمل يحتاج إلى دقة وإتقان:-

- أيوه!! عايزين زيت !! الزيت خلص، وهات معاك كـــيس رز، و......و...... وقبل أن تنتهي الزوجة مـــن طلباتهـــا أظهـــر "شوقي" علامات الامتعاض على وجهه الممتلئ الـــذي يكـــسوه شعر ذقنه المدبب وشاربه العريض الذي يصل إلى نصف شـــفته العليا وبعدها خرج وأغلق باب الشقة وراءه.

نزل على الدرج بتثاقل أعتاد عليه في كل يوم يذهب فيـــه إلى عمله، ثم خرج من العمارة وهو يشعل ســـيجارته الكليوبـــاترا متجهًا إلى الشارع الضيق المؤدي إلى محطة مترو الأنفاق، وقبل أن

ينتهي من سيجارته وصل إلى المحطة فانتظر لثوان يسحب أربعة أنفاس متعاقبة بسرعة فائقة وكأنه أخذ عهدًا على نفسه أن كل سيجارة في فمه لابد وأن تصل إلى ما بعد مؤخرتها، وبنفس الخطوات المتثاقلة دخل المحطة ونزل الدرج المؤدي إلى رصيف المحطة وهو ناظر لقدمه حتى وصل إلى الساعة الدائرية الكبيرة المثبتة بأرضية المحطة بقائم معدني كبير، وعنده توقف وركن على هذا القائم المذكور بكتفه الأيمن منتظرًا قدوم مترو الأنفاق، وبالفعل بعد انتظار دام أكثر من خمس دقائق وصل إلى المحطة بصفيره المزعج الذي أعتاد عليه كل من يركبه. رصيف المحطة مملوء عن أخره بالركاب أكثرهم من النساء باختلاف أعمارهم، أغلبهم بأغطية رأس ملونة بدون تناسق أو ذوق، يحمل البعض منهم حقائب بلاستيكية بأيديهم بخلاف تلك التي يضعونها على أكتافهم، ظل "شوقي" متسمرًا على الوضع السابق حتى بدأ يحس بتزاحم الركاب أمام باب العربة وعندها بدأ يستخدم أسلوبه في الركوب وهو أسلوب "الكتف" وفيه يحشر "شوقي" كتفه بين جموع الركاب ويقول عبارة معتادة أود أن تنتهي من قاموسنا اليومي.. "لا مؤاخذة!!".. صعد "شوقي" عربة مترو الإنفاق ضاغطًا على حذاء أحد الركاب وعندئذ لم يتحرك خطوة واحدة إلى الأمام بعدها، فكانت العربة كغيرها من العربات تعج بالركاب وكأنه يوم الحشر، لا يوجد مكان حتى لوضع يدك

بجانبك كإنسان طبيعي، وهو ما يجعل أغلب الركـــاب يرفعـــون أيديهم ممسكين بالاعمدة المعدنية بالعربة أو ما شبه وذلك ليوفروا مكانا ولو لبعض السنتيمترات لمن يلتصق بهم من جميع الجوانب، ولأن "شوقي" كان أول من قابلته عربة المترو فقد نجـــح بـــدفع نفسه إلى العربة بينما لم يفلح من وراءه من يقفون على الرصيف الذين يفوق عددهم تقريباً ضعف من كان بالمترو، وبعد ثـــلاث ثواني تقريبًا أعلن صفير مزعج آخر بغلق باب العربـــات حـــتى يتحرك، أنغلق باب العربة على طرف قميص "شوقي" فأصـــبح جزء من قميصه خارج العربة أما هو وباقي القميص داخل العربة – يا للوضع الغريب– وحينئذٍ لم يتقدم "شوقي" خطوة واحدة في أي من الاتجاهات الأربعة وذلك لسببين يضاهي إحـــداهما قـــوة الآخر، الأول: أبتلاع باب العربة لجزء من قميصه، أما الثـــاني: فهو وجود حائط بشرى هائل أمامه لا يفصله عنه ســـوى أزرار قميصه.

تحرك المترو ببطء نسبي كعادته في أوقات الصباح والـــذروة، وظل "شوقي" في الوضع السابق مسافة ثلاث محطات بأكملهم لم يتغير فيها وضعه سوى أنه حاول أن يأتي بقميصه من الخـــارج محاولا الا ينغلق عليه الباب مرة آخرى، وبعد الـــثلاث محطـــات المذكورة بدأ يتقدم قيد خطوة أو خطوة ونصف بعد كل محطـــة وذلك من أثر اندفاع الركاب خلفه، أما من جانبه فحاول التقدم

خطوة خطوة بعناء ومجهود يفوق مجهود عمله الفعلي في أسبوع كامل حتى وصل بنجاح إلى وسط العربة بعد أن ألقى جميع العبارات المحفوظة والمكررة التي يرددها أغلبية المصريين بدون تفكير من أمثلة:-

- بعد أذنك يا باشا!
- معلش ضهرك كده شوية!!
- خش بجنبك يا بشمهندس!!
- فى مكان عندك يا برنس........!!!

توغل أكثر و أكثر بنفس الاسلوب السابق ذكره، وبعض العبارات التي لا تخرج عن العبارات السابقة،و بالفعل أتخذ لنفسه مكانا مناسبًا بعض الشيء في المسافة الطولية التي تفصل كل باب عن الآخر وأمامه ذلك المقعد الأزرق المصمم لاستيعاب خمسة أشخاص بجانب بعضهم البعض ولكن الواقع الفعلى فرض عليه أ يستوعب سبعة أشخاص لا أدرى كيف. يتوسط المقعد المذكور رجل يبلغ من العمر حوإلى خمسة واربعون عامًا ذو لحية خفيفة ملونة بمزيج من الرمادي والأسود، ويرتدي نظارة قراءة مرتكنة على طرف انفه المدبب، يقرأ باهتمام بالغ إحدى جرائد المعارضة التابعة للحكومة وهو يطويها بشكل يضمن له قراءة فقط ما يريد قراءته بالإضافة إلى عدم شغلها حيز كبير في ظل هذا الازدحام الرهيب هنا وهناك.

لاحظ "شوقي" أن هذا الرجل ليس وحده هو الــذي يقــرأ الجريدة ولكن يشاركه القراءة شاب لا يزيد عمره عــن اثنتــا وعشرون عامًا يجلس بجوار الآيمن، وعلى الجانب الأيسر منه رجل في نفس سنه تقريبًا يطل بعينيه الواسعتين على الجريــدة أيــضًا، فضلًا عن الشخص الذي يقف بجوار "شوقي" فلم يترل عينيه من على الجريدة قط، الكل يقرأ في كل الاتجاهات حتى من فــوق، الكل يقرأ في كل الأوضاع على الرغم من أن الصفحة لا تحتوى على أي أخبار هامة أو مثيرة ولكن هو سلوك يبديه أغلبية الناس في مجتمعنا الحالي وخصوصًا في الأمــاكن المزدحمــة أو عنــدما يستقلون وسيلة من وسائل المواصلات لمسافات طويلة، وبالتبعية شاركهم "شوقي" القراءة في تلك الجريدة وكأنه لزامًا عليــه أن يفعل كما يفعل الأخرون فهذا يشعره بالارتيــاح، فهــو مــن الأشخاص الذين لا يستطيعون ان يتحملوا مجازفة فعل أي شيء مخالف لما يفعله الناس أو حتى على الأقل بدء شيء ما جديــد لم يعتاد الناس عليه. وبعد دقائق معدودات طوى صاحب الجريــدة الصفحة التي يقرأ فيها إلى الصفحة التالية لها وحينئذ حول بعض المتطفلين الذين شاركوه قراءة الجريدة أنظارهم في أماكن متفرقة حتى لا يلاحظ صاحب الجريدة تطفلهم، وبعد لحظات حولــوا أنظارهم مجددًا إلى الجريدة لمشاركة صاحب الجريــدة في قــراءة الصفحة التالية، تابع "شوقي" النظر مثلهم وكأنه يريد أن يــشغل

نفسه بأي شيء حتى يحس بأن المسافة حتى حلوان حيث يوجد مكان عمله أقصر مما هي عليها، وفجأة وبدون مقدمات تذكر ووسط هذا الجو الخانق وثرثرة الركاب، وجه "شوقي" كلامه إلى صاحب الجريدة بصوت مرتفع نسبيًا،معلقًا على أحد الأخبار في صدر الصفحة والتي كتبت بالخط العريض:-

- هما كمان غلوا البنزين!!؟؟

لم يلتفت إليه صاحب الجريدة وظل منشغلًا بالقراءة، لكنه تلقى رد من أحد الركاب بجواره:-

- خليهم يزودوا هيه جت على دي !!ما كل حاجة زادت، امبارح بس دخلت أجيب حتة جبنة وشوية عشا بس، دفعتلي ٢٥ جنيه وأنا واقف، يا عم خليها على الله.

وعندئذٍ تفوه صاحب الجريدة وهو لا يزال منشغلًا بالقراءة:-

- طب هنعمل أيه يا بيه؟؟ ما كل يوم على دا الحال.....واشترك في الحديث

اعتاد معظم الناس على مناقشة الموضوعات الهامة والخطيرة التي تمسهم وتمس مجتمعنا في المواصلات العامة مثل مترو الأنفاق وغيره ومن هذه الموضوعات: غلاء الأسعار، قلة الخدمات، الانتخابات الأمريكية ومن سيفوز بها، وبعض اختراقات رجال الأعمال، وأزمة الدوري المصري وغير ذلك...، ولا أدرى ما الذي يدفعهم لمثل هذه المناقشات وهم ذاهبون إلى عملهم أو

عندما يأتون منه، وكأن مترو الأنفاق أو ما شابهه هـو القنـاة الشرعية الوحيدة التي يستطيع فيها المواطن أن يتحدث عن مثـل هذه الأشياء أو أن يضع نفسه مكان الحكومة أو أن يعبر عن رأيه أو....، الغريب في الأمر أن معظم من نتحدث عنهم ليس لديهم المقدرة على إبداء رأيهم بصراحة أو وضوح أمـام المسـئولين أو أمام الشخص المناسب الذي من واجبه أن يسمع مثل هذه الآراء ويقوم على حلها، ولكنهم بخلاف الوقت الذي يقضونه في مثـل هذه المناقشات، يصبحون كالخراف لا يستطيعون عمل أي شيء سوى تهيئة أنفسهم بشكل إرادي للذبح.

دخل المترو النفق المظلم تحت الأرض، وبعد لحظات وصل إلى أول محطة "محطة مبارك" وعندما فتح باب العربة أندفع كل مـن يريد أن يترل خارج العربة في نفس الوقت وفي مواجهة من يريد أن يركب إلى نفس العربة، وكأنهم جيشين في حـرب بربريـة، حرب أبطالها ينتمون إلى فئات عمرية مختلفة لا تجد بينهم رابط، الكل يحاول الوصول إلى اقرب الهدفين وهما: الصعود إلى العربـة أو الترول منها: شاب يرتدي قميص رياضي أزرق لفريق كـرة القدم الإيطالي في مواجهة رجل في متوسط العمر يرتـدي حلـة رمادية ورابطة عنق يحمل بيده حقيبة جلدية، رجل في نهاية شبابه يرتدي جلباب صعيدي مهترئ بعض الشيء يحمل بيده جاروف ذو يد خشبية في مواجهة سيدة ترتدي خمارًا بني اللون....صراع فوضوي غير منظم، و عشوائية في الأداء منقطعة النظير.

وما أن نزل هذا الحشد الهائل من الركاب إلا أن صعد نفس العدد وأكثر، وانحشروا بنفس الطريقة داخل العربة لم يتغير شيء سوى اتخاذ "شوقي" وضعًا أفضل في الوقوف عن ذي قبل، وواصل صاحب الجريدة كلامه عن زيادة الأسعار:-

- سيبك من زيادة الأسعار، أهي حاجة بنشتريها وبنستفاد منها، لكن تقول إيه في إن كل شهر بيترل على فاتورة الكهربا ٣ جنيه نضافة وزبالة، لا بينضفوا ولا الزبالة بتتشال........، رد عليه "شوقي" بشغف ملحوظ وكأنه تحت قبة مجلس الشعب:-

- على رأيك!!

دخل مترو الأنفاق محطة "أحمد عرابي" وسط هدوء غير عادي بالمحطة فلا يوجد ركاب على رصيف المحطة إلا القليل كما أنه نادرًا ما يترل بها أحد وكأن الركاب لا يعترفون بها ضمن المحطات الرسمية على هذا الخط، ولا زال الحديث مستمرًا بين صاحب الجريدة و"شوقي" ومن يقف بجواره و أنضم إليهم قرابة ثلاثة ركاب آخرين، واتسعت دائرة الحوار بينهم، كل واحد منهم يدلو بدلوه في القضايا العشوائية التي تثار داخل عربة المترو، وبعد أقل من دقيقة وصل مترو الأنفاق محطة "جمال عبد الناصر"، وفيها نزل عدد كبير من الركاب والذين فاق عددهم عدد من صعدوا إلى العربة، وبعد انغلاق الباب الإلكتروني ذو الصفير المزعج وجه أحد الراكبين كلامه بلغة أنصاف المتعلمين إلى "شوقي" قائلًا:-

- بس أحنا برده يا بشمهندز العيب علينا، أي حاجة تحصل بنسكت عليها، لو قال لك بكرة رغيف العيش بعشرة جنيه، برده الناس هتشتريه وتسكت....، أجاب "شوقي" عليه دون التلفظ بأي كلمة واكتفى بهز رأسه مرتين في إشارة منه:-

- عندك حق.

وصل مترو الأنفاق محطة "أنور السادات" وفيها تكرر ما حدث بمحطة "حسني مبارك" ولكن هذه المرة كان عدد من صعدوا إلى العربة كان أكثر بكثير ممن نزلوا منها، في حضور جميع التماثيل الفرعونية التي تزين المحطة، والتي وقفت تشاهد الموقف في صمت عهدناه منذ زمن بعيد. ولا يزال الحديث مستمرًا بين جماعة الركاب، أحدهم يفجر مشكلة، والآخر يرد عليه، وثالث يهز رأسه.....وفي كل محطة بعد ذلك ينزل أحدهم منهيًا كلامه ببعض الجمل التي تشير إلى نهاية الحديث مثل:-

- خليها على الله.

- ربنا يقويك يا باشا.

- هنعمل إيه....سلامو عليكم!!!

وصل مترو الأنفاق إلى محطة "حلوان" المحطة التي ينزل بها "شوقي" يوميًا ذاهبًا إلى عمله بأحد مصانع الاسمنت التابعة للحكومة ولم يتبقى من الركاب سواه عدد قليل منتشرين بشكل

عشوائي بالعربة، قضى "شوقي" يوم عمله كبقية الأيـــام وبعـــد الانتهاء منه رجع مترله بنفس الطريقة التي ذهب بها، وأثناء سيره بالشارع المؤدي إلى مترله وقف أمام أحد محال البقالة ليشترى ما طلبته زوجته منه هذا الصباح، طلب منه زجاجتين مـــن زيـــت الطعام وكيلو أرز، دفع ثمنهم الذي زاد عن الشهر السابق عشرة قروش، لم يتفوه "شوقي "بكلمة مع صـــاحب البقالـــة وحمـــل الأغراض وسار يجر قدميه إلى مترله... دخل من باب الشقة غارقًا في عرقه من شدة الإجهاد، وبعدها أكمل يومه بطريقة روتينيـــة في أعمال غير مفيدة كعادته، ثم أنهاه بلقاء زوجي فاتر.

زلة لســـان



رفع "عزت" كوب الشاي إلى فمه ليأخذ آخر رشفة منه حتى وصل إلى الحبيبات البنية التي استقرت في قاع الكوب منذ خمسة عشر دقيقة فائتة محدثًا صوتًا مزعجًا لم يستثر انتباه زملائه بمكتب التوريدات في الشركة المصرية لصناعة البلاستيك، بعدها وضع الكوب على المكتب الإيديال المصنوع من الصاج والذي يظهر على سطحه دوائر متداخلة تدل على وجود أكواب من الشاي منذ فترات طويلة وخصوصًا على يسار سطح المكتب.

تابع العمل بعدها في بعض الأوراق والملفات المتناثرة بشكل غير منظم على سطح المكتب، يراجع بعض الفواتير، يكتب عبارات أكلاشيه على البعض الآخر، يضع إمضاءاته أحيانًا...الخ.

وقف "عزت" بتثاقل ملحوظ وهو لا يزال ينظر إلى الأوراق بشغف و هو يجمع بعضها داخل الملف البلاستيكي الأحمر والذي التقطه لتوه من أحد أدراج المكتب، ماطًا قميصه ذو الخطوط الطولية إلى نصف مؤخرته تقريبًا مهندمًا نفسه بشكل مبالغ فيه.

أخذ الملف المذكور ووضعه تحت أبطه وسار باتجاه باب غرفة المكتب، وعندها وجه الحديث إلى أحد زملائه بجوار الباب:-

أنا عند الريس شوية وجاي!

رد عليه زميله مبتسمًا إلى الحد الذي ظهر فيه تقسيمات وجهه بوضوح:-

- الريس الكبير ولا الصغير؟

رد عليه "عزت" رافعًا شفته العليا بشيء يدل على الاستهزاء:-

وحياة خالتك !! الريس اللي فوقنا يا خفيف!

أخذ زميله يقهقه بصوت مرتفع لدرجة انه سمعه حتى بعد خروجه من المكتب تقريبًا بخمس أو ست خطوات وهو متجه إلى الطابق العلوي حيث يوجد مكتب مدير الإدارة والذي طلب منه منذ حوالي أكثر من نصف ساعة ملف التوريدات الخاص بالعملاء في فترة الأشهر الستة الماضية وتقرير مفصل عنها.

وصل عزت إلى مكتب المدير بعد مسافة قصيرة في الردهة التي تتميز دائمًا بالهدوء الدائم على عكس الردهة في الطابق الأسفل والتي يوجد بها مجموعة الموظفين.

فتح الباب الخشبي المغطى بطبقة الفورمايكا وعلى جانبيه قصريتين من الزرع الأخضر ذو الأوراق العريضة المدببة والتي تصلح للزينة في أحيان كثيرة.

جلس قرابة دقيقة منتظرًا السكرتيرة حتى تفرغ من مكالمتها الهاتفية، متمنيًا من داخله أن تطول فترة المكالمة حيث شعر بالراحة حين جلس على المقعد المغطى بالجلد والمحشو بالإسفنج، فضلًا عن البرودة التي أحس بفعل جهاز المبرد ذو الكفاءة العالية، وبعد انتهاء السكرتيرة من المكالمة المذكورة ابتسم ابتسامة روتينية:-

- ازيك يا مدام حنان. ردت عليه بنفس الابتسامة تقريبًا:-

- ازيك يا أستاذ "عزت "، عامل إيه؟ وقبل أن تكمل جملتها رد عليها بشكل إلى:-

- عامل جمعية

- بقولك، الريس كان عايزني.

ردت عليه دون النظر إليه وتابعت الضغط على أزرار الهاتف:-

- آه، ادخل هو مستنيك.

طرق الباب طرقتين بأبسط قواعد الذوق والإتيكيت، دخل بعدها حجرة المكتب الكائن بصدر الغرفة المربعة الشكل والتي تميزت بالاتساع بعض الشيء، ناظرًا إلى أسفل أحيانًا، وعلى جدران الحجرة أحيانا أخرى:-

- حضرتك كنت طالبني...

قاطعه المدير وهو ينظر إلى بعض الأوراق المتناثرة على سـطح المكتب:-

- آه.. ملف توريدات الفترة اللي فاتت.. ها..إيه الأخبار؟

رد "عزت" عليه وهو يعطيه الملف البلاستيكى وهو لا يـزال واقفًا بين الكرسيين الكائنين على طرفي المكتب:-

- كله تمام يا ريس..!

ظل "عزت "واقفًا على قدميه متصلبًا لم يتحرك من جسده أي عضو سوى عينيه التي زاغت يمينًا ويسارًا تتفحص كل مـا هـو موجود بحجرة مكتب المدير:- فوتيهات جلدية، بعض التحـف الصينية، أطقم المكتب المصنوعة من الجلد علـى شـكل جلـد الثعابين، شجرة نبات الظل متوسطة الطول بجانب المدير....الخ

وفجأة التفت إليه المدير بسرعة كبيرة قطعت حدة الـصمت التي خيمت على الموقف:-

- إيه يا بني ده!!؟

وبعدها بدأ في إلقاء بعض التعليقات والملاحظات على التقارير والأوراق التي قدمها "عزت" إليه من قبيل:- الأخطاء الإملائيـة المنتشرة في التقارير، عدم تناسق الجمل مما يخل بالمعنى، و"عزت"

يتابع كل ذلك بشغف مصطنع دون إبداء أي تعليق رافعًا حاجبيه تارة، هازًا رأسه لأسفل تارة أخرى.

فرغ المدير من حديثه الذي اصطبغ بصبغة الاستهزاء بعـــض الشيء ثم طلب من "عزت" تقديم بعض التقارير مرة أخرى بعـــد التعديلات التي اقترحها، أخذ بعدها "عزت" الملف وقام بثنيه على شكل اسطوانة، وهو يعد المدير أن يقوم بتقديم التقـــارير مـــرة أخرى بشكل يرضيه و بدأ بعدها إلقاء بعض جمل الإطراء الـــتي اعتاد عليها الموظفين في المواقف المشابهة، الجملة وراء الجملة دون أي تفكير بحيث اشتبك آخر حرف من الكلمة الأخيرة في الجملة الأولى بأول حرف من الكلمة الأولى في الجملـــة الثانيـــة، دون تفكير في غياب عقله الواعي، وذلك نظرًا لضيق وقـــت المـــدير وطبيعة هذا الموقف السخيف، وقبل أن يتحرك إلى الوراء في اتجاه باب حجرة المكتب قال:-

- والله يا ريس انت ما تعرفش حضرتك كل الناس هنا مـــن ساعة ما حضرتك مسكت الإدارة بيدعوا عليك أد إيه...!!

تصلب "عزت "في مكانه وكأن علبتين من الغراء أفرغتا عـــن آخرهما تحت قدميه، الاثنتين في حالة ذهول:- الأول في ذهـــول يسأل نفسه كيف قال هذا؟، و الثاني في ذهول يسال نفسه كيف تجرأ الأول على قول ذلك؟

صمت لمدة لحظات، بعدها قام "عزت "بتعديل آخر مقطع في الجملة وهو يتأتأ وكأن القط التهم لسانه:-

- أقصد بتدعيلك،...آه...، معلش يا ريس زلة لسان.!!

لم يرد المدير عليه وظل محتفظًا بتعبيرات وجهه التي دلت على الاستياء والتذمر من أثر الموقف السابق، انطلق "عزت "في اتجـــاه باب حجرة المكتب بسرعة فاقت سرعة البرق وعرقه يتصبب من كل جزء في جسده من أثر الارتباك الشديد الذي أصابه بعد هذا الموقف السخيف بالإضافة إلى مشاعر الخجل التي سيطرت عليـــه وكأنه عار تماما في ميدان التحرير الساعة الثانية ظهرًا — ســـاعة خروج الموظفين- أثر عليه الارتباك تأثيرًا بالغًا لدرجة أنه فـــتح الباب مرتين ضاغطًا على مقبضه ولكن لم يفتح، اكتشف بعدها انه يدفع الباب في اتجاه السحب وليس الدفع.

وأخيرًا خرج من حجرة المكتب وهو يتـــنفس الـــصعداء، لم يلتفت إلى "حنان" السكرتيرة وخرج من باب مكتب السكرتارية إلى الردهة المؤدية إلى الطابق السفلى حيث توجد حجرة مكتبـــه بسرعة فائقة وكأنه مطارد من قاطع طريق محترف.

دخل حجرة مكتبه وأنفاسه تلاحق بعضها البعض في تتابع غير طبيعي وهو في حالة اضطراب، تحولت بعد لحظـــات إلى حالـــة شرود دامت لحظات منعته حـــتى مـــن الالتفـــات إلى الجلبـــة

والضوضاء التي أحدثها زملائه في المكتب نتيجة الهراء والضحك على كل كبيرة وصغيرة تحدث في المكتب.

استمرت الحالة السابقة حتى انقضاء أكثر من ربع ساعة بعد ساعات العمل الرسمية، خرج بعدها من الشركة وهو على غير عادته، فكان من قبل يصطحب زملائه في العمل إلى موقف سيارات السرفيس يتبادلون الأحاديث التافهة المتعلقة بيوم عملهم، يتبادلون النكات والإفيهات وتعلو على إثرها الضحكات في الشارع.

ولكن الموقف اليوم جد مختلف حيث سيطرت عليه الأفكار السوداوية بعد الموقف المذكور وبدأ يحدث نفسه بطريقة هستيرية:-

- إيه اللي أنا عملته النهاردة ده.. ! إزأي أنا قلت كده...؟

يا ترى هيعمل إيه فيا؟ أدخل بكرة اعتذر له تاني ولا أكبر دماغي وكل شيء يروح لحاله؟ يا ترى هيعمل فيا أيه، طبعا هيحطني في دماغه.. يا رب ليه كل ده بس ده انا ورايا كوم لحم.

دار الحديث السابق في ذهن "عزت "دون أن يصدر أي صوت يذكر، ولكن شفتاه تتحركان وتتراقصان بشكل غير

طبيعي وهو يعطى تعبيرات الدهشة تارة، والضيق تارة أخرى، إلى الدرجة التي أثارت انتباه أحد الركاب بجواره حيث تخيل أنه مختل عقليًا وبدأ يسخر منه بابتسامات متقطعة.

وصل البيت وهو في الحالة ذاتها منهمكًا من أثر التفكير في الموقف الذي حدث اليوم وبعد تناول نصف ما قدمته زوجته على الغداء راح في ثبات عميق بسرعة فائقة حاضنًا الوسادة بين ذراعيه وفخذيه، لم يفق من الوضع السابق إلا صباح اليوم التالي حيث استيقظ على نداء زوجته عليه وصياحها المستمر الذي اعتادت عليه.

ذهب "عزت "إلى الشركة صباح ذلك اليوم، دخل حجرة المكتب ملقيًا تحية الإسلام على زملائه بالحجرة، ثم جلس بعدها على المكتب متظاهرًا بطريقة مصطنعة بالانشغال في بعض الأوراق والدوسيهات الملقاة على سطح المكتب بحيث أثار ذلك انتباه من كان بالحجرة فليست عادة أن يأتي إلى حجرة المكتب ثم يجلس على مكتبه بهذه السرعة الفائقة دون التفوه بأي كلمة.

وعندها دعاه أحد زملاء المكتب إلى تناول الإفطار معهم حيث اعتادوا على ذلك من فترة طويلة:-

- "عزت" ما تيجي تفطر، شوية فول بقى لوز، لوز.. رد عليه بجدية غير ملائمة للموقف بالمرة:-

- لأ، شكرًا عندي شغل..!!

تبدل حاله منذ ذلك اليوم ١٨٠ درجة، حيث بدا حريصًا أكثر على العمل، يدقق بشكل وسواسي في كل ورقة أمامه، يخرج بعد انتهاء مواعيد العمل الرسمية أو بعدها بقليل...، كان يتوقع في كل لحظة تليفون من "حنان "السكرتيرة تدعوه لمقابلة المدير بين الحين والآخر ليوبخه على الكلمة التي قالها بالأمس..لكن توقعاته كلها باءت بالفشل، بدا أكثر نظامًا، يقضي معظم وقته في العمل، حتى نظافة المكتب كان يقوم بها بنفسه، وبدأ بترتيب الأوراق والدوسيهات المبعثرة على المكتب بطريقة تسهل الحصول عليها عند الحاجة إليها، وبالإضافة إلى ذلك أيضا كان يتجنب لقاء المدير في أي موقف، يتخفى منه عندما يعلم من الساعي أنه يمر على المكاتب حيث يتظاهر عندئذ بالذهاب إلى الحمام المكان الوحيد في العالم الذي لا يستقيم وجود اثنين بداخله.

بدا "عزت "أكثر هدوءًا و رزانة عن ذي قبل، لا يريد الاحتكاك أو التعامل مع أي زميل، كما أصبح كلامه قليل جدًا وأكثر دقة عند كتابة التقارير والتعامل مع الأرقام. ظل على حالته المذكورة مدة ثلاثة أسابيع متواصلة دون أي تغيير يذكر، لم يشارك الزملاء في الإفطار الجماعي بالمكتب كما كان يفعل من قبل، لم يطلب طيلة هذه المدة الشاي إلا في أوقات محددة عندما

يخف ضغط الشغل بصورة ملحوظة، لم يكـــن هنـــاك أي أثـــر للشبشب المصنوع من الفلين الأخضر الذي اعتاد على ارتدائـــه بعد وصوله إلى حجرة المكتب حتى لا يقوم باستهلاك حذائه.

تحمّل "عزت "طيلة الأسابيع الثلاثة تهكمات زملائه المستمرة والنكات والإفيهات التي تدور حوله بالانشغال الزائد في العمل، أما في أوقات الفراغ كان يفتح نسخة القرآن التي تتميز بـــصغر الحجم وسوستة تلف أضلاعه الأربعة إلا واحدًا، ويقرأ فيه.

وطيلة الثلاثة أسابيع المذكورة لم يرى "عزت" وجه المدير ولا حتى صدفة، و مازالت الفكرة المسيطرة عليه بصورة غير منطقية أن "حنان "السكرتيرة سوف تتصل به لتبلغه أن سعادة الـــريس يطلبه، وكانت هذه الفكرة تكرر نفسها مع كل جرس تليفـــون يرن بحجرة المكتب فأصبحت استجابة شـــرطية، أصـــبح فيهـــا التليفون هو المثير والفكرة المسيطرة عليه هي الاستجابة.

*****

انتشرت في الشركة إشاعة غير مؤكدة أن رئيسه المباشـــر أو حضرة الريس كما يطلقون عليه سوف يرقى إلى منصب أعلـــى وسوف ينقل على أثر ذلك إلى فرع الشركة "بحلوان ". اســـتقبل "عزت" الخبر بسعادة على الرغم من أنه يعلم أنهـــا قـــد تكـــون إشاعة.

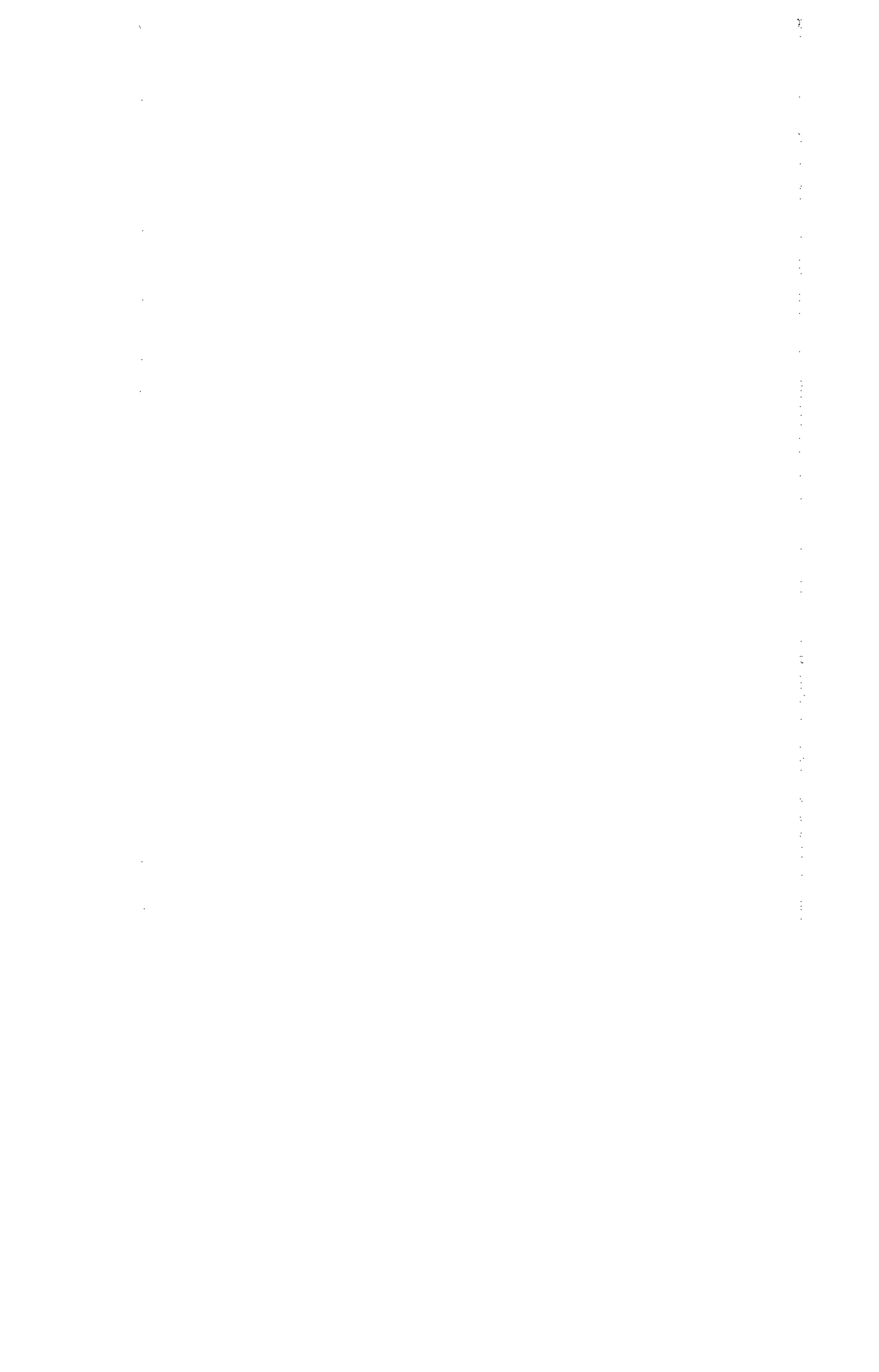
ولكن الخبر لم يكن إشاعة بالمرة، ففي صباح أول يوم بعد انقضاء الثلاثة أسابيع المذكورة، تولى مدير إدارته منصب أعلى بفرع الشركة بحلوان وعند سماعه هذا الخبر أحس بأن حملًا ثقيلًا قد نزل بهدوء من على كاهله، أحس براحة شديدة، وبدا أقل اضطرابا وانفعالا عن ذي قبل... اشترك مع زملائه من وقت لآخر في الأحاديث التي سارت في حجرة المكتب عن مساوئ المدير القديم ومحاسن المدير الجديد وشخصيته، فكانت هذه أول مشاركة فعلية له منذ ثلاثة أسابيع طوال.

*****

وفى صباح يوم الاثنين دخل "عزت" حجرة المكتب صباحًا والابتسامة تعلو شفتاه، حاملا كيس بلاستيك غامق بيده اليسرى لا يظهر ما بداخله، فوجد زملائه و قد بدأوا حفلة الإفطار المعتادة على سطح أحد المكاتب في الحجرة المذكورة، وحينئذ رفع الكيس بيده إلى مسافة متوسطة محدثًا زملائه بصوت مرتفع:-

- جايب لكم شوية بتنجان بقى....فى الجووووون !!!

فتح بعدها الكيس من المنتصف وشارك زملائه مشاركة جادة في الإفطار وسط الضحكات والقهقهات التي اعتادوا عليها عندما يلقى احدهم نفس النكات والإفيهات المكررة والسخيفة.



للهاتف استخدامات أخرى...

أحس الدكتور "حسام الدين سيف الإسلام" الأستاذ بقسم التاريخ القديم بكلية الآداب بتعب وإنهاك شديدين بعد انقضاء أكثر من ساعتين ونصف تقريبا من الكتابة المتواصلة في مقدمة كتابه "تحت قبة الجامعة... حواديت و حكايات" والذي بدأ في كتابته منذ الأسبوع الفائت مُصرًا على الانتهاء منها اليوم حيث لم يتبقى سوى أسطر قليلة وتنتهي مقدمة الكتاب المذكورة، ضغط على نفسه وقاوم إحساس الإرهاق والتعب، وبالفعل أكمل تلك المقدمة مسقطًا القلم الحبر ذو اللون الأزرق من أصابعه في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل تقريبًا.

وحينئذٍ سمع الدكتور "حسام" صوت جرس التليفون المزعج حيث انتفض بشكل أثار استفزازه وأخذ يهرول حتى وصل إلى حجرة الصالون حيث يوجد هذا الاختراع المزعج.

- آلو...

- آلو...

- آلو...

امتعض الدكتور "حسام" قليلًا واضعًا سماعة التليفون في المكان المخصص لها، متحركًا في اتجاه غرفة نومه، وعندها ألقى جسده الثقيل على السرير بهدوء ملحوظ حتى لا يزعج زوجته، ظل قرابة ١٥ دقيقة مستلقيًا على ظهره في ثبات عال الدرجة، محملقًا في سقف الحجرة حيث توجد المروحة ذات الأربع ريشات المتدلي منها ثلاثة مصابيح على شكل زهرة اللوتس الفرعونية. أسلم نفسه بعد ذلك إلى النوم وراح في سبات عميق.

****

قضى الدكتور "حسام "اليوم التالي في الجامعة بشكل مألوف و روتيني، لقاءات متفرقة ببعض أعضاء هيئة التدريس...، لقاءات غير منظمة بمجموعة طلبة وطالبات...، أحاديث عن بعض القضايا التي تضمنتها الجرائد الرسمية...

وصلت الساعة الواحدة والثلث ظهرًا وعندها انتاب الدكتور "حسام" إحساس قوي و رغبة شديدة في أن يكمل ما قد انتهى إليه بالأمس حيث تدافعت الأفكار إلى رأسه كتدافع حفنة دبابيس معدنية إلى قطعة المغناطيس.

استأذن الدكتور "حسام" الحاضرين بحجة أنه مرهق، بعـــدها توجه إلى منزله الكائن بمنطقة المعادي الـــتي تتميـــز بالهـــدوء و السكينة في كل الأوقات تقريبًا.

بدأ الدكتور "حسام" في تجهيز أوراقه و أقلامه ذات الألـــوان المختلفة أحمر، أسود، أزرق الموضوعة على المكتب وذلك في تمام الساعة الحادية عشر وخمس وأربعون دقيقة مساءً. ثم أخذ يراجع ما انتهى إليه ليلة أمس – مقدمة الكتاب- وبعدها بدأ في كتابـــة الفصل الأول من الكتاب ذاته والذي يحمل عنوانـــا "في فـــصل رسائل الماجستير والدكتوراه" حيث بدأ الفصل بمقدمة مختـــصرة تتضمن الصورة المثالية التي يجب أن تكون عليها الرسائل الجامعية مستعينًا ببعض الأمثلة من جامعات فرنسية، إنجليزية و إسبانية.

بذل الدكتور "حسام" مجهودًا ملحوظًا في كتابة هذا الجـــزء من الكتاب، حيث ظل فيه قرابة ساعتين وبعد الانتهاء منه بشكل نهائي، بدأ يتعرض بلهجات قاسية بعض الشيء لمستوى الرسائل الجامعية وأبحاث الترقية في الجامعات المصرية... بالوقائع والأسماء، مستعينًا بجمل التهكم والاستهزاء على مدى حالة التـــردي الـــتي وصلت إليها الأبحاث والدراسات بكل أشكالها، أيضا فقرات في هذا الجزء تتضمن مدي التشابه بين موضوعات الرسائل الجامعية والتي وصلت في حالات ليست بالقليلة إلى حد القص واللـــصق، فقرات تتضمن القيمة التطبيقية للأبحاث ومدي الاستفادة منها في مجتمعنا، فقرات تتضمن الأخطاء المنهجية والتي مـــن المـــستحيل

إجازة البحث في وجودها...الخ، وبعد انقضاء عشر دقائق تقريبا فوجئ بجرس التليفون يعوي من الخارج، من حجرة الصالون، أسقط الدكتور حسام القلم من يده وحدة الانفعال لديه تبلغ حدها الأقصى.

- آلو.

- آلو.

- مين معايا؟؟.

أغلق الدكتور حسام سماعة التليفون، وفى طريقه إلى غرفة المكتب تذكر نفس الموقف الذي حدث أمس وفى نفس التوقيت تقريبًا.

اضطرب الدكتور "حسام" قليلًا وجلس يواصل الكتابة، ومع بداية كتابة أول كلمة سمع صوت نباح كلب من خارج النافذة، لم يبالي في البداية، ولكن بعد الانتهاء من وضع بعض الكلمات القليلة على الورقة، زاد نباح الكلب أكثر بشكل استفزه أكثر وأكثر، فتح الدكتور "حسام" النافذة بعد سحب الجزء الأيمن من الستارة بشكل عصبي فوجد كلب أسود أسفل مدخل العمارة في حالة هياج شديد دون أي سبب ظاهر، أندهش قليلًا عندما رأى المنظر فنادرًا ما توجد كلاب بهذا الشارع الهادئ.

تأثرت حالته النفسية تأثرًا بالغًا وخرج من حالة التركيز التي سيطرت عليه طوال الفترة السابقة، أشعل سيجارة وبدء ينفث

بصورة انفعالية حادة وهو يفكر في موقــف التليفــون وســأل نفسه:-

- ممكن تكون صدفة!!؟

******

استيقظ الدكتور "حسام" في اليوم التالي بصعوبة من أثر الأرق الذي أصابه ليلة أمس، لم يذهب إلى الجامعة، وظل طوال اليــوم شاردًا أمام التلفاز مما أثار دهشة زوجته وتساؤلها.

ظل في الوضع السابق حتى منتصف الليل تقريبًا، لم يقم بــأي شيء مفيد، لم يكتب كلمة واحدة بالرغم من إصــراره علــى الانتهاء من هذا الكتاب في أقرب وقت ممكن، بعد ما اتفق مــع إحدى دور النشر الخاصة لطبع ونشر وتوزيع الكتاب.

وصلت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وهو في حالة ترقــب لجرس التليفون، ظل بجواره قرابة ٢٠ دقيقــة، لم يــصدر فيهــا التليفون أي صوت، هدأ الدكتور حسام قليلًا وزادت قناعته بأنها مصادفة ليس إلا.

****

..وفي اليوم التالي بدأ طقوسه التي اعتاد عليها قبل بدء الكتابة، ـ ولكن بعد الموعد الذي اعتاد أن يكتب فيه بحوالي ساعة تقريبــا، وبدأ في وضع الخطوط العريضة والأفكار الرئيسية للفصل الثــاني

والذي يحمل عنوان "في فصل الفساد الإداري بالجامعة"، بدأ الكتابة بحماس شديد وبأسلوب هو نفسه تردد كثيرًا قبل أن يستخدمه،عندما تعرض إلى الإدارات المختلفة بالجامعة الواحدة تلو الأخرى بشيء من التفصيل مدعمًا فقرات هذا الجزء بأحداث واقعية على ألسنة الموظفين والعاملين بها،... بيروقراطية،... استغلال مناصب،... محسوبيات....إلخ، الكلمات تلاحق الكلمات والأفكار تلاحق بعضها البعض كشلال مندفع، وكل ذلك في تداعى منظم ومنطقي، وبالرغم من كل هذا، انشغل الدكتور "حسام" بشيء ما، متوقع حدوث شيء ما – نعم – وفى نفس الوقت صدقت توقعاته، حدث ما حدث في الأيام الفائتة ويزيد عليها تصاعد صوت نباح الكلاب تحت مدخل عمارته، حيث ازداد أكثر وأكثر بشكل ملحوظ متزامنًا مع تكرار صوت جرس التليفون بشكل فاق الحد الطبيعي للاحتمال، وعندها تأثر الدكتور "حسام" انفعاليًا بزيادة حدة قلقه، كما تأثر جسميًا بزيادة تصبب عرقه من جميع أجزاء جسمه بالإضافة إلى تلاحق أنفاسه وكأنه عداء في سباق ١٠٠ متر عدو، وعندها تيقن أن في الأمر شيء.. استمر الدكتور حسام على هذا الوضع طوال ٢٤ يوم وفى كل مرة يحدث نفس الشيء حتى انتهى من كتابة الكتاب بشكل لم يرضيه على المستوى الظاهري.

وفى صباح اليوم التالي تلقى تليفونًا من الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة يبلغه فيه بترشيحه لمنصب نائب رئيس الجامعة بالإنابة. احتفل بعدها الدكتور "حسام" مع أسرته وزملائه بترشيحه لهذا المنصب ولكن ظل فكره مشغولا بمصير الكتاب الذي انتهى منه ليلة أمس، وبعد تفكير لم يدم أقل من نصف ساعة وضع أصل مسودة الكتاب في درج مكتبه بالمترل وأغلقه بالمفتاح.

ملحوظة: ظل الأستاذ الدكتور خمس أعوام لم يسمع فيها جرس تليفون أو نباح كلب بعد منتصف الليل، ونعم بنوم هادئ خال من التوتر والقلق تماما.

الفهرس